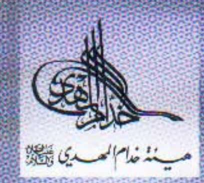
شعاع من حب فاطمة عليها السلام

دراسة عن القيمة الذاتية لمحبة فاطمة الزهراء عليها السلام

آية الله السيد مرتضى الشيرازي






شعاع من
نور فاطمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين المعصومين ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين

الطبعة الثالثة

1422 هـ - 2001م



هيئة خدام المهدي

عليه الصلاة والسلام

هيئة تثقيفية إسلامية تطوعية هدفها تنمية المجتمعات إيمانيا
وفق رسالة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

هاتف: 33 30 256 - 42 04 256 (965)

ص.ب: 11851 الدسمة 35159 الكويت

عنوان المكتب في الكويت: بنيد القار - شارع المسجد

البريد الإلكتروني: khdam_almahdi@yahoo.com

الإعداد المطبعي:

دار العلوم

ص.ب: 136293 بيروت - لبنان

توزيع:

مركز نور محمد

صلى الله عليه وآله وسلم



دراسة عن القيمة الذاتية لمحبة فاطمة الزهراء عليها السلام

آية الله السيد مرتضى الشيرازي



كلمة الناشر

كيف المفر وأين الملجأ؟!

نحن البشر لسنا من الأئمة أو الأنبياء، لسنا معصومين من الوقوع في مستنقعات المعاصي والذنوب، ونادرٌ منا من يتمكن من الانتصار على أعدائه الأربعة؛ النفس والشيطان والدنيا والهوى.

إنْ هي إلا أيام ستمر كلحظات عابرة، بعدها سيجد الواحد منا نفسه في لحدٍ ضيقٍ مظلم، ثم في يومٍ لا توصف أهواله، محملا بتلال منَ الخطايا، غارقا في بحر من الرزايا، حاملا صحيفة سودتها أعماله وأفعاله، خائفا مرعوبا مما هو مقبل عليه!

فكيف المفر عندئذ من جهنم وسعيرها، وأين الملجأ يومئذ من الحساب والعقاب؟!

.. إنها الزهراء! هدية رب السماء!

نعمة أنعم الله بها علينا كي ننجو، فإنما قد سُمِّيت فاطمة لأن الله فطم محبيها ومحبي عترتها من النار. ولم يكن ما تجرعته من آلام؛ وما تحملته من مصائب ومحن؛ إلا لأجلنا نحن! نعم نحن! فبعدما قام ذلك الوغد بعرصها بين الحائط والباب، وكسر ضلعها وإسقاط جنينها، عرض الله تعالى عليها أن تطلب ما تشاء لينتقم ممن تشاء، ولينزل الصاعقة على رأس من تشاء. ولكن الزهراء - بأبي وأمي - أبت إلا أن تصبر على البلاء، ولم يكن طلبها من ربها إلا أن يغفر لشيعتها ومحبيها ويدخلهم الجنة ويحرم لحومهم على النار!

أرأيت عظمة الزهراء؟!

حاشا لله.. أن يعذب قلبا فيه ذرة من حبها صلوات الله وسلامه عليها. هكذا وعد الله الزهراء - والله لا يخلف وعده - إذ قال تعالى شأنه: «يا فاطمة.. وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني، لقد آليت على نفسي من قبل أن أخلق

السماوات والأرض بألفي عام أن لا أعذب محبيك ومحبي عترتك بالنار».

. . .

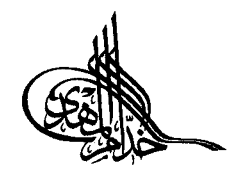
هذا الكتاب خطته يد عالم مجاهد على علاقة خاصة بأمه الزهراء صلوات الله وسلامه عليها، وهو يناقش جانبا مهما من جوانب عظمتها عليها السلام، ويثبت بالبرهان القاطع محورية وموضوعية محبتها، وأن تلك المحبة كفيلة بإيصال صاحبها إلى جنان الخلد، عاجلا أم آجلا، كلٌ حسب درجة محبته ومقدار طاعته.

ويجيب هذا البحث القيم - الذي كان أول ما كتبه سيدنا المؤلف بعد فك أسره من سجن رهيب - عن تساؤل مطروح يقول: إذا كانت محبة الزهراء سلام الله عليها كافية لدخول الجنة والأمان من النار مهما ارتكب العبد من الذنوب؛ فألا يعد ذلك تشجيعا له على المعاصي وارتكاب المحرمات؟!

هنا يفصل سماحة السيد المؤلف الجواب على ضوء كتاب الله العزيز وروايات أهل بيت الوحي والعصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهو يصل في خاتمة المطاف إلى

حقيقة ما أعظمها . . فإنه شعاع من نور فاطمة عليها الصلاة والسلام ، ينير قلوبا بمحبتها ترجو نجاة من النار .

وشعبة النشر في «هيئة خدام المهدي» عليه السلام لتفخر بنشر هذا الكتاب وطبعه وتوزيعه ، راجية من الله العلي القدير أن يتقبل هذا القليل بلطفه وكرمه ، وأن يحظى هذا الجهد المتواضع برضى الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين صلوات الله وسلامه عليها .





إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴿١﴾

فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ﴿٢﴾

إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ﴿٣﴾



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المدخل

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين.

قال الإمام أبو الحسن الثالث عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (إنما سميت ابنتي «فاطمة» لأن الله عز وجل، فطمها وفطم من أحبها من النار)[1].

وهناك روايات أخرى كثيرة تؤكد هذا الحديث الشريف وتعضده[2].

---

(١) عوالم العلوم والمعارف والأحوال ج٦ ص٣٠. وفوائد السمطين ص٥٨. وبحار الأنوار ج٤٣ ص١٥ ب٢ ح١٢ عن الفحام، عن المنصوري، عن عم أبيه، عن أبي الحسن عليه السلام الثالث، عن آبائه عليهم السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: . . .

والبحار ج٦٥ ص١٣٣ ب١٨ ح٦٦ عن (بشارة المصطفى) عن الرضا عليه السلام عن آبائه عن رسول الله (صلوات الله عليهم أجمعين).

(٢) وستأتي الإشارة إلى عدد من الروايات الأخرى إن شاء الله تعالى.

والتساؤل الكبير الآن هو: هل يعقل أن يكون الأمر كذلك؟.

أيمكن أن تفطم فاطمة عليها السلام كافة محبيها من دخول النار؟

وهل محبة آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بما هي محبة، مجردة عن العمل، تمتلك قيمة ذاتية؟

وهل الأصالة للعمل أم للمحبة؟

للجوارح أم للجوانح؟

للاعتقاد أم للانقياد؟

هل للمحبة الموضوعية، أم أنها متمحضة في الطريقية؟

وهل أننا نعبّد طريق المعاصي للجماهير ونشجعهم عليها، ونجرئهم على الباري جل وعلا عندما نقرأ لهم تلكم الروايات؟ ونصرح لهم بكل ذلك؟

وهل صحيح: أن عبداً لو أدى جميع الفروض والواجبات وتجنب كافة المعاصي وعبد الله ليلاً ونهاراً، ما نفعه ذلك يوم الحشر إلا بمحبة علي وفاطمة وذريتهما (عليهم أفضل الصلاة والسلام)؟.

وأخيراً ما هي فلسفة تلك الروايات؟

وماذا تعني؟

وإلى مَ ترمي؟

وهل يجوز للمحب لآل الرسول عليهم السلام أن يرتكب المعاصي ويجترح السيئات اعتماداً على المحبة، متعللاً بتلك الروايات الشريفة؟

هذه الأسئلة هي التي سنحاول في هذه الدراسة الموجزة أن نقدم لها بعض الإجابات السريعة والدقيقة أيضاً، عسى أن تكون مقدمة لكتابة مجلد ضخم حول تلكم البحوث، والله الموفق وهو المستعان.

دمشق ـ السيدة زينب عليها السلام

ج٢/ ١٤١٨هـ

مرتضى الشيرازي

روايات في محبة أهل البيت عليهم السلام[1]

في البدء لا بد أن نقوم باستعراض سريع وعابر، لبعض الروايات الشريفة التي تشير إلى محورية (محبة آل الرسول ومودتهم)، وموضوعيتها وتؤكد أنها هي المدار وبها الاعتبار[2] وإن محبهم سيدخل الجنة وإن كان عاصياً، ومبغضهم يدخل النار وإن أطاع الله وعبده حتى تنكسر رقبته.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (ولو اجتمع الناس على حبه لما خلق الله جهنم)[3].

---

(١) راجع بحار الأنوار ج٣٩ ص٢٤٦ ب٨٧: حبه وبغضه صلوات الله عليه وإن حبه إيمان وبغضه كفر ونفاق وإن ولايته ولاية الله ورسوله وإن عداوته عداوة الله ورسوله وإن ولايته عليه السلام حصن من عذاب الجبار وإنه لو اجتمع الناس على حبه ما خلق الله النار.

(٢) في معادلة الدخول إلى الجنة وعدم الخلود في النار على أقل التقادير.

(٣) إحقاق الحق ج١٧ ص٢٤٤.

وقال ﷺ: (ما من عبد ولا أمة تموت وفي قلبه مثقال حبة خردل من حب علي ابن أبي طالب إلا أدخله الله الجنة[1].

وقال ﷺ: (لو اجتمع الناس على حب علي بن أبي طالب لما خلق الله عز وجل النار)[2].

وعن علي عليه السلام: (عن النبي ﷺ، إن أول من يدخل الجنة أنا وأنت وفاطمة والحسن والحسين قال علي عليه السلام: فمحبونا؟ قال ﷺ: من ورائكم)[3].

وقال ﷺ: (إن الله له الحمد عرض حب علي وفاطمة وذريتها على البرية فمن بادر منهم بالإجابة جعل منهم الرسل، ومن أجاب بعد ذلك جعل منهم الشيعة وإن الله جمعهم في الجنة)[4].

وعن ابن عباس قال: قال ﷺ: (يا علي إن فاطمة بضعة مني، هي نور عيني وثمرة فؤادي، يسوؤني ما

---

(١) بحار الأنوار ج٣٩ ص٢٤٦ ب٨٧ ح٢.
(٢) بحار الأنوار ج٣٩ ص٢٤٨ ب٧٨ ح١٢.
(٣) مسند فاطمة الزهراء للسيوطي ص٤٥. وبحار الأنوار ج٦٥ ص١٢٧ ب٨ ح٥٦ عن بشارة المصطفى.
(٤) المناقب المرتضوية، للعلامة الكشفي ص٩٧.

ساءها ويسرني ما سرها، ثم رفع يديه إلى السماء فقال: اللهم إني أشهدك أني محب لمن أحبهم، مبغض لمن أبغضهم، سلم لمن سالمهم، حرب لمن حاربهم، عدو لمن عاداهم، ولي لمن والاهم)[1].

وفي (الهداية الإلهية) التي هبط بها جبرائيل على رسول الله ﷺ التي تضمنت رسالة من خالق الأكوان إلى سيد المرسلين نجد: (... فإذا عليها سطران مكتوبان: بسم الله الرحمن الرحيم، تحية من الله تعالى إلى محمد المصطفى وعلي المرتضى وفاطمة الزهراء والحسن والحسين سبطي رسول الله وأمان لمحبيهم يوم القيامة من النار)[2].

وعن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: (لفاطمة وقفة على باب جهنم، فإذا كان يوم القيامة كتب بين عيني كل رجل: مؤمن أو كافر، فيؤمر بمحب قد كثرت ذنوبه إلى النار، فتقرأ بين عينيه: محباً، فتقول: إلهي وسيدي سميتني فاطمة، وفطمت بي من

(١) (أهل البيت) توفيق أبو علم ص١٢٤.

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي ص٩٥. ومثله في بحار الأنوار ج٣٧ ص٩٩ ب١ ح١. والبحار ج٤٣ ص٣٠٨ ب١٢ ح٧٢.

تولاني وتولى ذريتي من النار، ووعدك الحق وأنت لا تخلف الميعاد، فيقول عز وجل، صدقت يا فاطمة، إني سميتك فاطمة وفطمت بك من أحبك وتولاك وأحب ذريتك وتولاهم من النار، ووعدي الحق وأنا لا أخلف الميعاد، وإنما أمرت بعبدي هذا إلى النار لتشفعي فيه؟ فأشفعك، ليتبين لملائكتي وأنبيائي ورسلي وأهل الموقف موقفك مني ومكانتك عندي، فمن قرأت بين عينيه مؤمناً فجذبت بيده وأدخلته الجنة)[1].

وقال الحسين بن علي عليه السلام: حدثني أبي علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: (أخذ النبي بيد الحسن والحسين فقال: من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة)[2].

وعن نصر بن مزاحم عن زياد بن المنذر عن زاذان

---

(١) بحار الأنوار ج٤٣ ص ١٤ـ ١٥ ب٢ ح١١. والبحار ج٨ ص٥١ ب٢١ ح٥٨.

(٢) المناقب لابن المغازلي ص٣٧٠. وفي بحار الأنوار ج٣ ص١١٦ ب٧ ح٢٧. وفي البحار ج٣٧ ص٣٧ ب٥٠ ح٥. والجمع بين هذه الروايات ودليل العقل قد يقتضي تفسيرها على حسب درجة المحبة أو يقال بأن لدرجته صلى الله عليه وآله عرضاً عريضاً ومراتب عديدة ككل حقيقة تشكيكية.

عن سلمان قال: قال النبيﷺ: (يا سلمان من أحب فاطمة بنتي فهو في الجنة معي، ومن أبغضها فهو في النار، يا سلمان حب فاطمة ينفع في مائة من المواطن، أيسر ذلك المواطن الموت والقبر والميزان والمحشر والصراط والمحاسبة، فمن رضيَت عنه ابنتي فاطمة، رضيتُ عنه، ومن رضيتُ عنه، رضي الله عنه، ومن غضبَت عليه غضبتُ عليه، ومن غضبتُ عليه، غضب الله عليه، يا سلمان ويل لمن يظلمها ويظلم بعلها أمير المؤمنين علياً، وويل لمن يظلم ذريتها وشيعتها)[1].

وعن فاطمة بنت محمدﷺ قالت: (خرج علينا رسول اللهﷺ فقال: (إن الله عز وجل باهى بكم فغفر لكم عامة وغفر لعلي خاصة، وإني رسول الله إليكم غير هائب لقومي ومحاب لقرابتي، هذا جبرائيلعليه السلام يخبرني: إن السعيد كل السعيد حق السعيد: من أحب علياً في حياتي وبعد وفاتي)[2].

---

(١) فرائد السمطين ج٢ ص٦٧ و(مقتل الحسين) للخوارزمي ص٥٩ و(ينابيع المودة) ص٢٦٣.

(٢) أسنى المطالب لشمس الدين الجزري ص٦٦. وراجع بحار الأنوار ج٣٩ ص٥٧ ب٨٧ ح٣٤ مثله.

وعن زينب ابنة علي، عن فاطمة، بنت رسول الله ﷺ قالت: (قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: أما إنك يا علي وشيعتك في الجنة)[1].

وعن النبي ﷺ قال: (حب علي براءة من النار)[2].

وعن ابن مسعود قال، قال رسول ﷺ: (يا علي إنك قسيم الجنة والنار، وأنت تقرع باب الجنة، وتدخلها أحباءك بغير حساب)[3].

وعن ابن عباس قال سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: (... ثم يقول جبرائيل يا فاطمة سلي حاجتك، فتقولين، يا رب شيعتي فيقول الله: قد غفرت لهم، فتقولين: يا رب شيعة ولدي، فيقول

---

(١) دلائل الإمامة ص٣٢ وإحقاق الحق ج٧ ص٣٠٧. ومثله في بحار الأنوار ج٣٩ ص٢٦٨ ب٨٧ ح٤٥. والبحار ج٤١ ص١٦٩ ب١٠٩ ح٥. والبحار ج٦٥ ص١٣٥ ب١٨ ح٧٢.

(٢) كنوز الحقائق للمناوي ص٢٦. وينابيع المودة ص٢٥٧. وبحار الأنوار ج٣٩ ص٢٥٨ ب٨٧ ح٣٤ عن عمر بن الخطاب. والبحار ج٣٩ ص٣٠٤ ب٧ ح١٢٠.

(٣) ينابيع المودة ص٨٥. وفي بحار الأنوار ج٣٩ ص٢٠٩ ب٨٤ ح٣١: ابن المغازلي بإسناده قال قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: أنت قسيم الجنة والنار وإنك تقرع باب الجنة وتدخلها بغير حساب.

الله: قد غفرت لهم، فتقولين: يا رب شيعة شيعتي، فيقول الله: انطلقي، فمن اعتصم بك فهو معك في الجنة، فعند ذلك، تود الخلائق أنهم كانوا فاطميين، فتسيرين ومعك شيعتك وشيعة ولدك وشيعة أمير المؤمنين، آمنة روعاتهم، مستورة عوراتهم، قد ذهبت عنهم الشدائد، وسهلت لهم الموارد يخاف الناس وهم لا يخافون ويظمأ الناس وهم لا يظمأون)[1].

وفي حديث طويل: قال الله عز وجل: (يا فاطمة وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لقد آليت على نفسي من قبل أن أخلق السماوات والأرض بألفي عام أن لا أعذب محبيك ومحبي عترتك بالنار)[2].

وقال ﷺ... فيوحي الله عز وجل إليها: (يا فاطمة، سليني أعطك، وتمني علي أرضك، فتقول: إلهي أنت المنى وفوق المنى، أسألك أن لا تعذب محبي ومحب عترتي بالنار)[3].

---

(١) بحار الأنوار ج٤٣ ص٢٢٧ ب٨ ح١٣.
(٢) سفينة البحار ج٢ ص٣٧٥. وبحار الأنوار ج٢٧ ص١٤٠ ب٤ ح١٤٤.
(٣) تأويل الآيات ج٢ ص٤٨٤. وبحار الأنوار ج٢٧ ص١٤٠ ب٤ ح١٤٤.

وقال ﷺ: (. . . يا علي إن هذا النهر (الكوثر) لي ولك ولمحبيك من بعدي)[1].

وفي حديث: (. . . فإذا استوت القيامة بأهلها نادت الملائكة في الخلائق، فلا يبقى محب لأهل البيت إلا رفعت إليه صكاً فيه فكاكه من النار، فصار أخي وابن عمي وابنتي فكاك رقاب رجال ونساء من أمتي من النار)[2].

وقال رسول الله ﷺ: (معرفة آل محمد براءة من النار، وحب آل محمد جواز على الصراط، والولاية لآل محمد أمان من العذاب)[3].

وفي الحديث: إنه صعد رسول الله ﷺ المنبر وقال: (. . . والذي بعثني بالنبوة واصطفاني بالرسالة، لقد حرم الله عز وجل النار على لحم فاطمة ودمها

---

(١) حق اليقين ج٢ ص١٩٩ نقلاً عن مجالس المفيد وأمالي الشيخ وبشارة المصطفى. وبحار الأنوار ج٨ ص١٨ ب٢٠ ح٢، وبحار الأنوار ج٨ ص٢٧ ب٢٠ ح٢٩. والبحار ج٣٩ ص٢٩٩ ب٨٧ ح١٠٦.

(٢) الصواعق المحرقة ص١٧٣ وينابيع المودة ص٨٨. وشبهه في بحار الأنوار ج٤٣ ص١٢٣ ب٥ ح٣١.

(٣) ينابيع المودة ص٢٢ نقلاً عن جواهر العقدين والشفاء والإتحاف للشبراوي ص٤ ط القاهرة.

وعصبها وشعرها، وفطم من النار ذريتها وشيعتها، . . . الويل ثم الويل، الويل لمن شك في فضل فاطمة، ولعنة الله ثم لعنة الله على من يبغض بعلها علي بن أبي طالب ولم يرض بإمامة ولديها، إن لفاطمة موقفاً ولشيعتها أحسن موبقف، وإن فاطمة تدعو قبلي وتَشفع وتُشفع على رغم كل راغم)[1].

وفي الحديث: (. . . فينادي منادي ربنا: يا أيها المحبون لفاطمة تعلقوا بأهداب مرط فاطمة سيدة نساء العالمين، فلا يبقى محب لفاطمة إلا تعلق بهدبة من أهداب مرطها، حتى يتعلق بها أكثر من ألف فئام وألف فئام، قالوا: وكم فئام واحد؟ قال: ألف ألف، ينجون بها من النار)[2].

وعن أبي الصلت الهروي قال: قال المأمون لعلي الرضا ابن موسى الكاظم عليه السلام أخبرني عن جدك أمير المؤمنين علي عليه السلام بأي وجه هو قسيم الجنة والنار، فقال له الرضا عليه السلام: (ألم تروِ عن آبائك عن عبد الله بن عباس

---

(١) وفاة فاطمة الزهراء للبلادي البحراني ص١٢.

(٢) بحار الأنوار ج٨ ص٦٨ ب٢٢ ح١٢. والبحار ج١٧ ص٢٤٣ ب٢ ح٢.

أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: حب علي إيمان وبغضه كفر؟ فقال بلى، فقال الرضا عليه السلام: لما كانت الجنة للمؤمن والنار للكافر فقسمة الجنة والنار إذا كان على حبه وبغضه فهو قسيم الجنة والنار، فقال المأمون: لا أبقاني الله بعدك، إنك وارث جدك رسول الله)[1].

وقال رسول الله ﷺ: (أنا شجرة وفاطمة فرعها، وعلي لقاحها، وحسن وحسين ثمرها، ومحبوهم من أمتي أوراقها، ثم قال: هم في جنة عدن والذي بعثني بالحق)[2].

وفي رواية أخرى: (... وحيث ينبت الشجر تساقط ورقها، ثم قال: في جنة عدن والذي بعثني بالحق)[3].

وفي حديث الإسراء: (يا محمد إني خلقتك وخلقت علياً وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ولد

---

(١) ينابيع المودة ص٨٥، وشبهه في بحار الأنوار ج٣٩ ص١٩٣ ب٨٤ ح٣.
(٢) شواهد التنزيل ج١ ص٣١٢. وشبهه في بحار الأنوار ج٢٧ ص١٠٣ ب٤ ح٦٨. والبحار ج٣٥ ص٣١ ب١ ح٢٧.
(٣) شواهد التنزيل ج١ ص ٣١٢ـ ٣١٣.

الحسين من نوري، وعرضت ولايتكم على أهل السماوات والأرض، فمن قبلها كان عندي من المؤمنين، ومن جحدها كان عندي من الضالين (الظالمين خ ل) يا محمد لو أن عبداً عبدني حتى ينقطع، أو يصير كالشن البالي ثم أتاني جاحداً لولايتكم ما غفرت له حتى يقر بولايتكم)[1].

---

(١) تأويل الآيات ج١ ص٩٨. وشبهه في بحار الأنوار ج٨ ص٣٥٧ ب٢٧ ح١٨. والبحار ج١٦ ص٣٦١ ب١١ ح٦١. والبحار ج٢٧ ص١٩٩ ب٧ ح٦٧.

تلامذة في مدرسة أهل البيت عليهم السلام

في البداية لا بد أن نشير إلى أننا يجب أن نكون (تلامذة) صغاراً في مدرسة أهل البيت عليهم السلام وأن نعتبر كلماتهم هي القول الفصل، وهي الحكم وهي المرجع.

فالاجتهاد في مقابل النص - كتاباً وسنة - لا يكشف إلا عن جهل أو تجاهل بـ(العلم الشمولي المحيط) لهم عليهم السلام الذي تنطلق منه النصوص كاشفة عن الحقائق كما هي، وهو إلى جوار حرمته شرعاً والردع عنه عقلاً[1] يعد ذلك المدخل الكبير الذي ضل بسببه الكثير، من فحول الفلاسفة والعلماء، بل وغيرهم، عندما بعقلهم وحكمتهم، حكموا عقولهم وجعلوها المقياس، فأولوا على ضوئها النصوص أو طرحوها رأساً لعدم انسجامها مع قناعاتهم وآرائهم[2].

---

(١) أو إدراك العقل لذلك، على المبنيين.

(٢) ومن هنا نشأت نظريات تخالف النقل والعقل الصريح الخالي عن

إن استغراب الحقائق، طبيعية كانت أم ميتافيزيقية، وعدم المقدرة على هضمها أو إدراك أبعادها، لا يصح أن يعد سبباً للرفض... وإذا كنا نستنكر على جاهل بالفيزياء أو الذرة أو الفضاء اعتراضه على نظرية تبدو له في غاية الغرابة[1] فإن الاستنكار على من يعترض في القضايا الميتافيزيقية (الماورائية) ويستنكر رغم صدورها لا من أفلاطون أو انشتاين، بل من حجج الله على كافة الخلاق، أكبر وأشد، وتدل هذه الرواية على ذلك:

فعن الحذاء عن أبي جعفرعليه السلام قال: سمعته يقول: (أما والله إن أحب أصحابي إليّ أورعهم وأكتمهم لحديثنا، وإن أسوأهم عندي حالاً وأمقتهم إليّ الذي إذا سمع الحديث ينسب إلينا ويروى عنا فلم يعقله ولم يقبله قلبه، اشمأز منه وجحده وكفر بمن دان به وهو لا يدري

شوب الشبهات، كنظرية وحدة الوجود ووحدة الموجود، وكرأي السوفسطائيين، والعقول العشرة وكثير من نظريات المتصوفة، وإنكار الشفاعة والعصمة و... ومن ههنا أيضاً نشأ الكثير من مصاديق التفسير بالرأي لآيات القرآن الحكيم، ونشأ الكثير من رفض التأويلات الصادرة عمن نزل القرآن الكريم في بيوتهم والذين أودعوا ظاهره وباطنه وسره ومكنونه.

(١) كبعض مباني ونتائج النظرية النسبية مثلاً.

لعل الحديث من عندنا خرج وإلينا أسند فيكون بذلك خارجاً عن ولايتنا)[1].

إضافة إلى أننا لو فتحنا باب (تحكيم العقل البشري الناقص) في الماورائيات، لأعطينا الشرعية والحجية لكافة التناقضات التي تنتهي إليها تلك العقول الناقصة، ولأضعنا أول مفتاح حقيقي لـ (المعرفة)، خاصة إذا لاحظنا إلى جوار محدودية إدراكات العقل ومدركاته: معادلة (العقل المشوب بشبهة أو هوى أو ما أشبه ذلك).

إن (المقياس) و(المرجع) في كل التناقضات التي يقع فيها العقل البشري، هو (الوحي الإلهي) وتلك العقول الكاملة التي اعتبرها خالق الكون وسائطه إلى خلقه وعباده.

---

(١) بحار الأنوار ج٦٥ ص١٧٦. وشبهه في البحار ج٢ ص١٨٦ ب٢٦ ح١٢، والبحار ج٢٥ ص٣٦٥ ب١٣ ح٦.

ما يحكم به العقل

إن العقل هو المحكم في الإمكان والامتناع، ولا شك في (الإمكان الذاتي) لكون محبة آل الرسول ﷺ سبباً للدخول في الجنة، وبغضهم سبباً للدخول في النار، ولا شك في إمكان أن يتفضل الله تعالى على (فاطمة عليها السلام) بأن تفطم محبيها وشيعتها من النار[1]، ولا شك في إمكان أن يغفر الله ذنوب كل محب لعلي وفاطمة وأبناهما (عليهم صلوات المصلين).

وقد دلت الروايات المتواترة ـ تواتراً معنوياً أو تواتراً إجمالياً ـ على تحقق كل ذلك، كما سبق وكما سيأتي مما هو غيض من فيض ومما هو مذكور في كتب الحديث والكلام والتفسير.

---

(١) إشارة إلى قوله ﷺ: إنما سميت فاطمة لأنها فطمت وشيعتها من النار.

ولإزالة الاستغراب وكإشارة عابرة إلى بعض الأدلة على محورية المحبة وموضوعيتها وتوضيحاً للصورة وكرسم مبدئي لأبعاد المعادلة نقول:

الاستغفار ومحو الذنوب

١ـ لقد جعل الله تعالى (الاستغفار) سبباً لمحو الذنوب كلها، صغيرها وكبيرها، فـ (لحظة توبة) تغسل ذنوب عشرات السنين، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[2].

وقال عز وجل: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

وقال سبحانه: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾[4].

---

(١) سورة النساء: الآية ١١٠.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٣٣.

(٣) سورة المائدة: الآية ٧٤.

(٤) سورة المزمل: الآية ٢٠.

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾(١).

وقال عز وجل: ﴿فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾(٢).

وقال عليه السلام: (التائب من الذنب كمن لا ذنب له)(٣).

أفيستغرب بعد ذلك أن تكون (محبة آل البيت) (عليهم أفضل الصلاة والسلام) سبباً لمحو الذنوب وغفران الخطايا؟

وقد دلت الروايات على ذلك، منها: ما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: (بحبنا يغفر لكم)(٤).

وعن الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (حبنا أهل البيت يكفر الذنوب ويضاعف الحسنات، وإن الله تعالى ليتحمل عن محبينا أهل البيت ما عليهم من مظالم العباد إلا ما كان منهم فيها على

(١) سورة الزمر: الآية ٥٣.
(٢) سورة النساء: الآية ٦٤.
(٣) بحار الأنوار ج٦ ص٤١ ب٢٠ ح٧٥ عن الإمام الباقر عليه السلام. والبحار ج٩٠ ص٢٨١ ب١٥ ح٢٢ عن رسول الله صلى الله عليه وآله.
(٤) بشارة المصطفى ص٨١. وبحار الأنوار ج٦٥ ص١٢٩ ب١٨ ح٥٩.

إضرار وظلم للمؤمنين[1]، فيقول: للسيئات كوني حسنات)[2].

وعن أبي بصير قال: قال لي الصادق عليه السلام: (يا أبا محمد، إن الميت على هذا الأمر شهيد، قال: قلت: جعلني فداك، وإن مات على فراشه؟ قال: وإن مات على فراشه فإنه حي يرزق)[3].

وعن أبي عبد الله عليه السلام: (من أحبنا ولقي الله وعليه مثل زبد البحر ذنوباً كان حقاً على الله أن يغفر له)[4].

---

(1) وسيأتي تحت عنوان (وماذا عن حقوق الناس) أن الأئمة عليهم السلام سيتكفلون بإرضاء الخصماء في بعض الأحيان، وببعض الدقة يتضح أن لا تعارض بين الروايتين هنا وهناك، بل احداهما تعضد الأخرى، إذ هنا تصريح بأن الله يتحمل من محبي أهل البيت عليهم السلام ما عليهم من المظالم، إلا ما كان فيه اضرار وظلم للمؤمنين، فإنه لا يتحمله، وهناك تصرح الرواية بأن الله يتحمل عنهم ما له من الحقوق، أما ظلامات العباد فلا يتحملها الله ـ كما ذكر في هذه الرواية تماماً ـ بل يحولها إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ليتحملها هو، وهذه هي الإضافة التوضيحية في تلك الرواية فراجع.

(2) أمالي الطوسي ج١ ص١٦٦. وبحار الأنوار ج٦٥ ص١٠٠ ب١٨ ح٥.

(3) بحار الأنوار ج٢٧ ص١٣٨ ب٤ ح١٤٢. وشبهه في البحار ج٦ ص٢٤٥ ب٨ ح٧٤.

(4) بحار الأنوار ج٢٧ ص١٢١ ب٤ ح١٠٣.

وعن أبي عبد الله عليه السلام: (إن حبنا أهل البيت ليحط الذنوب عن العباد كما تحط الريح الشديدة الورق عن الشجر)[1].

(١) بحار الأنوار ج٢٧ ص٧٧ ب٤ ح٩.

الشهادة وغفران الخطايا

٢ـ و(الشهادة) في سبيل الله أيضاً اعتبرت سبباً لغفران الذنوب، كما قال الإمام الباقر عليه السلام: (أول قطرة من دم الشهيد كفارة لذنوبه إلا الدَين فإن كفارته قضاؤه)[١].

فهل يستغرب أن تكون محبة، من خلق الله الكون لأجلهم وفي محبتهم[٢]، سبباً لذلك؟

إضافة إلى أن الروايات تعمم مفهوم الشهادة ومصداقها لقوله صلى الله عليه وآله: (من مات على حب آل محمد مات شهيداً)[٣].

---

(١) من لا يحضره الفقيه ج٣ ص١٨٣ ب٢ ح٣٦٨٨.

(٢) كما ورد في أحاديث كثيرة، ومنها حديث الكساء، راجع للإطلاع التفصيلي على أن الكون خلق لأجلهم وفي محبتهم، كتاب (من فقه الزهراء عليها السلام) المجلد الأول للإمام الشيرازي (دام ظله).

(٣) عوالم المعارف ومستدركاتها ج٢١ ص ٣٥٤ـ ٣٥٥. وبحار الأنوار

فهو شهيد له ما له من الدرجات والمنزلة، ولا يضر بذلك عدم اجراء أحكام الشهيد من حيث الغسل وما أشبه ذلك عليه، إذ أن المنصرف عن (مات شهيداً) غير ذلك، أو أن الأدلة دلت على استثناء ذلك، وعلى كل حال فليس ذلك مخلاً بالمقصود، بل قد يؤكده، فتدبر جيداً.

ج٢٣ ص٢٣٣ ب١٣، والبحار ج٦٥ ص١٣٧ ب١٨ ح٧٦، وقد نقله العلامة المجلسي في بحاره ج٢٧ ص١١١ ب٤ ح٨٤ عن صاحب الكشاف والثعلبي في تفسير قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ الآية. هكذا: بإسناده إلى جرير بن عبد الله البجلي قال قال رسول الله ﷺ: من مات على حسب آل محمد مات شهيداً.

الشفاعة ومحو السيئات

٣ـ (والشفاعة) هي الأخرى سبب.

وحكم الأمثال فيما يجوز وفيما لا يجوز واحد، وهذه القاعدة تنطبق على (المحبة)[1] من جهة وعلى (الاستغفار) و(الشهادة) و(الشفاعة) من جهة أخرى، بل الأمر فيها أولى من بعض الجهات كما لا يخفى، بل أن مآل الشفاعة إلى المحبة كما تدل عليه الروايات ومنها: (... إنه إذا كان ذلك واحتضر، حضره رسول الله ﷺ وعلي وجبرئيل وملك الموت عليهم السلام فيدنو منه علي عليه السلام فيقول: يا رسول الله ﷺ إن هذا كان يحبنا أهل البيت فأحبه، ويقول رسول الله ﷺ: يا جبرئيل، إن هذا كان يحب الله ورسوله وأهل بيت رسوله فأحبه، ويقول

---

(١) أي أنهم عليهم السلام يشفعون للإنسان لأنه اتسم بصفة (المحبة) لآل بيت الرسول الأطهار عليهم السلام.

جبرئيل لملك الموت: إن هذا كان يحب الله ورسوله وأهل بيت رسوله فأحبه وأرفق به، فيدنو منه ملك الموت فيقول: يا عبد الله أخذت فكاك رقبتك، أخذت أمان براءتك، تمسكت بالعصمة الكبرى في الحياة الدنيا...)[1].

(١) بحار الأنوار ج٦ ص١٩٧ ب٧ ح٥١.

النقاط الثلاث

٤ـ هذه النقطة تنحل في حقيقة الأمر إلى ثلاث نقاط:

١ـ فضل الله تعالى بالنسبة لآل البيت عليهم السلام.

٢ـ مكانتهم وقدرهم ومنزلتهم عليهم السلام عنده تعالى.

٣ـ فضله تعالى على عامة الناس.

و(فضل الله تعالى) بالنسبة لآل البيت ومكانتهم عند الله تعالى، يقتضي منح آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تلك المكرمة وهذه المنقبة أفيستكثر على الله تعالى أن يمنحهم ذلك وهم أفضل مخلوقاته، وهم ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾[1] ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾[2].

---

(١) وقد عبر في الروايات عن أهل البيت عليهم السلام بـ(عباده المكرمون) راجع بحار الأنوار ج٩٩ ص١٦٢ ب٨ ح٦ وفيه: (أنتم أولياؤه النجباء وعباده المكرمون).

(٢) سورة الأنبياء: الآيتان ٢٦ـ ٢٧.

وفضل الله على عباده أيضاً يقتضي أن يتفضل عليهم بالعفو عن ذنوبهم، لأنهم أحبوا من أحبه وكرّمه وفضّله ومن أراد منهم محبته.

قال أبو جعفر عليه السلام: (والله يا جابر إنها (أي: فاطمة عليها السلام) ذلك اليوم لتلتقط شيعتها ومحبيها كما يلتقط الطير الحب الجيد من الحب الرديء، فإذا صار شيعتها معها عند باب الجنة يلقي الله في قلوبهم أن يلتفتوا، فإذا التفتوا يقول الله: يا أحبائي ما التفاتكم وقد شفعت فيكم فاطمة بنت حبيبي؟ فيقولون: يا رب أحببنا أن يعرف قدرنا في مثل هذا اليوم، فيقول الله: يا أحبائي ارجعوا وانظروا من أحبكم لحب فاطمة، انظروا من أطعمكم لحب فاطمة، انظروا من كساكم لحب فاطمة، انظروا من سقاكم شربة في حب فاطمة، انظروا من رد عنكم غيبة في حب فاطمة، فخذوا بيده وادخلوه الجنة، قال أبو جعفر عليه السلام: والله لا يبقى في الناس إلا شاك أو كافر أو منافق)[1].

وفي حديث طويل عن النبي صلى الله عليه وآله: (وأما ابنتي

(١) بحار الأنوار ج٨ ص٥٢ ب٢١ ح٥٩. ومثله في البحار ج٤٣ ص٦٥ ب٣ ح٥٧.

فاطمة سلام الله عليها، فإنها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وهي بضعة مني، وهي نور عيني، وهي ثمرة فؤادي، وهي روحي التي بين جنبيّ، وهي الحوراء الإنسية، متى قامت في محرابها بين يدي ربها، جل جلاله، زهر نورها لملائكة السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض، ويقول الله عز وجل لملائكته: يا ملائكتي انظروا إلى أمتي فاطمة سيدة إمائي، قائمة بين يدي، ترتعد فرائصها من خيفتي، وقد أقبلت بقلبها على عبادتي، أشهدكم أني قد آمنت شيعتها من النار)[1].

ومقتضى قوله تعالى: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾[2] أن يجعل: الاستغفار، الشفاعة المحبة... أسباب محو الذنوب والدخول في الجنة.

---

(١) أمالي الصدوق، المجلس ج ٢٤ـ ص١٠٠. وبحار الأنوار ج٢٨ ص٣٨ ب٢ ح١.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٢.

المشاكل وغفران الذنوب

٥ـ وإذا كانت الأمراض والعوارض والمشاكل والمآسي سبباً لتطهير المؤمن وغفران ذنوبه ومحو سيئاته فـ(حمى ليلة كفارة سنة)[١] وقد قال أبو عبد الله عليه السلام: (والله لا يصف عبد هذا الأمر فتطعمه النار، قلت: إن فيهم من يفعل ويفعل، فقال: إنه إذا كان ذلك ابتلى الله تبارك وتعالى أحدهم في جسده، فإن كان ذلك كفارة لذنوبه، وإلا ضيق الله عليه في رزقه، فإن كان ذلك كفارة لذنوبه وإلا شدد الله عليه عند موته حتى يأتي الله ولا ذنب له ثم يدخله الجنة)[٢].

---

(١) بحار الأنوار ج٧٨ ص١٨٢ ب١ ح٣٢ عن أبي عبد الله عليه السلام: والبحار ج٧٨ ص١٨٥ ب١ ح٣٩ عن رسول الله صلى الله عليه وآله. والبحار ج٧٨ ص١٨٧ ب١ ح٤٤. وشبهه في البحار ج٧٨ ص٢٠٩ ب٢ ح٢٥ وفيه: (حمى يوم كفارة سنة).

(٢) بحار الأنوار ج٦ ص١٦٠ ب٦ ح٢٦.

عن رسول الله ﷺ قال: قال الله تعالى: (ما من عبد أريد أن أدخله الجنة إلا ابتليته في جسده، فإن كان ذلك كفارة لذنوبه وإلا سلطت عليه سلطاناً، فإن كان ذلك كفارة لذنوبه، وإلا ضيقة عليه في رزقه، فإن كان ذلك كفارة لذنوبه وإلا شددت عليه عند الموت حتى يأتيني ولا ذنب له ثم أدخله الجنة)[1].

و. . .[2]

فكيف لا تكون محبة خيرة أولياء الله ومحالّ معرفة

---

(1) بحار الأنوار ج٦ ص١٧٢ ب٦ ح٤٩.

(2) وقد ورد بالنسبة إلى بعض العبادات أنها كفارة سنة أو أكثر، وفي بعضها كفارة الذنوب والخطايا وما أشبه، ففي بعض الروايات: (إن الموت كفارة لذنوب المؤمنين) راجع البحار ج٦ ص١٥١ ب٦ ح٣.
وفي الحديث: (. . . وأدنى ما يصنع بولينا أن يريه الله رؤيا مهولة فيصبح حزيناً لما رآه فيكون ذلك كفارة له) الحديث. راجع البحار ج٢٧ ص١٣٧ ب٤ ح١٣٩.
وفي حديث عنه ﷺ: (عجباً للمؤمن لا يقضي الله عليه قضاء إلا كان خيراً له، سره أم ساءه، إن ابتلاه كان كفارة لذنبه وإن أعطاه وأكرمه كان قد حباه) بحار الأنوار ج٦٨ ص١٥٢ ب٦٣ ح٥٤.
وفي الحديث عن علي عليه السلام: (. . . فأما الوجع خاصة فهو تطهير وكفارة) البحار ج٧٨ ص١٨٥ ب١ ح٣٩.
وعن الصادق عليه السلام: (من اشتكى ليلة فقبلها بقبولها وأدى إلى الله شكرها كانت له كفارة ستين سنة) البحار ج٧٨ ص٢٠٥ ب٢ ح١١.

الله ومعادن حكمة الله (عليهم أفضل الصلاة والسلام) كذلك؟

خاصة وإن تلك[1] تستبطن الجانب السلبي (المحبة) هي ذلك الجانب الإيجابي، وتلك هي البعد العرضي وهذه هي البُعد الذاتي وتلك ترتبط بالجوارح وهذه بالجوانح.

(١) أي الأمراض والعوارض والمشاكل والمآسي.



العمل وغفران الذنوب

٦ـ وإذا كانت بعض الأعمال سبباً لغفران الذنوب ورفع العقاب وتطهير النفوس، فكيف لا يمكن أن تكون (المحبة الخالصة لمن أمر الله بحبهم) سبباً لكل ذلك؟

خاصة إذا لاحظنا أن العمل هو القالب، والمحبة هي القلب، والعمل هو الجسم، والمحبة هي الروح، والعمل هو المظهر، وتلك هي المخبر.

وبعبارة أخرى: العمل عمل الجوارح، والمحبة عمل الجوانح، وربما إلى ذلك يشير قوله ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات، ولكل امرء ما نوى).

فإذا كان مقياس قبول العمل وعدم قبوله (النية) - لا ضخامة العمل وحجمه الكبير والأتعاب الهائلة - أفلا يمكن بعدها أن تكون المحبة والبغض كذلك؟

وببيان آخر: المحبة من مصاديق العمل، بل هي من أفضل مصاديقه[1].

وفي هذه الروايات استعراض سريع لـ(بعض الأعمال) كشاهد على هذا المقال:

فقد قال الصادق عليه السلام: (صوم يوم التروية كفارة سنة ويوم عرفة كفارة سنتين)[2].

وفي بعضها: (ثم جعل [عز وجل] هذه الخمس صلوات تعدل خمسين صلاة وجعلها كفارة خطاياهم فقال عز وجل: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ﴾)[3].

وفي الحديث: إن العبد إذا قال: (حي على الصلاة حي على الصلاة) قال تعالى: (صدق عبدي ودعا إلى فريضتي فمن مشى إليها راغبا فيها محتسبا كانت له كفارة لما مضى من ذنوبه)[4].

---

(١) سيأتي تحت عنوان (الموضوعية في محبة أهل البيت عليهم السلام ذكر بعض الروايات التي تصرح بأن (محبة علي عليه السلام): (عمل) و(إيمان) و(عبادة).

(٢) بحار الأنوار ج٩٤ ص١٢٤ ب٦٤ ح٥ عن ثواب الأعمال.

(٣) راجع البحار ج١٦ ص٣٤٨ ب١١ ح٣٣.

(٤) راجع البحار ج١٨ ص٣٣٠ ب٣ ح٣٤.

وفي رواية عن الكاظم عليه السلام: (كفارة أعمالكم الإحسان إلى إخوانكم)[1].

وعنه عليه السلام: (كفارة الذنوب العظام إغاثة الملهوف والتنفس عن المكروب)[2].

وعن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: (من توضأ للمغرب كان وضوؤه ذلك كفارة لما مضى من ذنوبه في نهاره ما خلا الكبائر ومن توضأ لصلاة الصبح كان وضوؤه ذلك كفارة لما مضى من ذنوبه في ليلته ما خلا الكبائر)[3].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (من اغتسل يوم الجمعة محيت ذنوبه وخطاياه)[4].

وعنه عليه السلام: (... إنما مثل الصلاة مثل النهر الذي ينقي، كلما صلى صلاة كان كفارة لذنوبه، إلا ذنب أخرجه من الإيمان مقيم عليه)[5].

---

(١) بحار الأنوار ج٤٨ ص١٣٦ ب٦ ح١٠.
(٢) بحار الأنوار ج٧٥ ص٦٧ ب١٦ ح٥.
(٣) بحار الأنوار ج٧٧ ص٢٣١ ب٢ ح٤.
(٤) بحار الأنوار ج٧٨ ص١٢٨ ب٥ ح١٣.
(٥) بحار الأنوار ج٧٩ ص٢٣٦ ب١ ح٦٦.

وقال عليه السلام: (إجابة المؤذن كفارة الذنوب)[1].

وقال عليه السلام: (من صام ذلك اليوم ـ ٢٧ رجب ـ كان كفارة ستين سنة)[2].

وفي الحديث: (صوم شعبان كفارة الذنوب العظام)[3].

وفي الرواية: (صوم يوم غدير خم كفارة ستين سنة)[4].

وفي الحديث: (العمرة إلى العمرة كفارة ما بينهما)[5].

وعنه صلى الله عليه وآله في فضل الأضحية: (... فإن بكل قطرة من دمها كفارة كل ذنب)[6].

ومثل هذه الروايات كثيرة جداً فراجع مظانها.

---

(١) بحار الأنوار ج٨١ ص١٥٤ ب١٣ ح٤٩.
(٢) بحار الأنوار ج٩٤ ص٥١ ب٥٥ ح٤٠.
(٣) بحار الأنوار ج٩٤ ص٩١ ب٥٨ ح٥.
(٤) بحار الأنوار ج٩٤ ص١١٢ ب٦٠ ح٦.
(٥) بحار الأنوار ج٩٦ ص٥٠ ب٤ ح٤٦.
(٦) بحار الأنوار ج٩٦ ص٣٠٠ ب٥٢ ح٣٧.

القول وغفران الذنوب

٧ـ بل إذا كانت بعض (الأقوال) سبباً لغفران الذنوب وزيادة الحسنات، فكيف لا تكون (المحبة)؟

وهذه نماذج من الروايات عن (الأقوال):

عن الرسول ﷺ: (من توضأ ثم خرج إلى المسجد فقال حين خروجه من بيته: بسم الله الذي خلقني فهو يهدين، هداه الله... وإذا مرضت فهو يشفين، جعله الله عز وجل كفارة لذنوبه... وإذا قال: والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين، غفر الله عز وجل خطاه كله وإن كان أكبر من زبد البحر...)[١].

وقال عليه السلام: (اكثروا ذكر الله عز وجل إذا دخلتم الأسواق وعند اشتغال الناس فإنه كفارة للذنوب وزيادة

---

(١) بحار الأنوار ج٨١ ص٢٠ ب٩ ح٦.

في الحسنات)[1].

وقال عليه السلام: (من قال عشر مرات قبل أن تطلع الشمس وقبل غروبها: لا إله إلا الله وحده... كانت كفارة لذنبه في ذلك اليوم)[2].

(1) بحار الأنوار ج١٠ ص٩٢ ب٧ ح١.

(2) بحار الأنوار ج٨٣ ص٢٥٥ ب٢٥ ح٢٥ عن المحاسن والكافي.

الشرك وحبط الأعمال

٨ـ وكما يكون (الشرك بالله) سبباً لحبط كافة الأعمال، قال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1] وكما يكون (إنكار الرسالة) سبباً لحبط كافة الأعمال، كذلك، يكون (إنكار الولاية) سبباً لحبط كافة الأعمال.

وكما كان الإيمان بالرسول ﷺ شرطاً أساسياً، كذلك الإيمان بعلي عليه السلام، فالإيمان بالولاية شرط جوهري ومقوم أساسي وهو كالفصل للجنس[2]، ومما يوضح ذلك ويدل عليه، قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[3].

---

(١) سورة الزمر: الآية ٦٥.

(٢) إن صح التعبير.

(٣) سورة المائدة: الآية ٦٧.

وقد قال النبي بعد أن ذكر الأئمة عليهم السلام بأسمائهم: (المقرّ بهم مؤمن والمنكر لهم كافر)[1].

وقال صلى الله عليه وآله: (يا حذيفة إن حجة الله بعدي عليك علي بن أبي طالب، الكفر به كفر بالله، والشرك به شرك بالله، والشك فيه شك في الله، والإلحاد فيه إلحاد في الله، والإنكار له إنكار لله، والإيمان به إيمان بالله)[2].

وكذلك الرياء والعجب، فإنهما يفسدان العمل، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء)[3].

وقال العلامة المجلس (قدس سره) في البحار: (قوله صلى الله عليه وآله: (فطهر سعيه) أي من الرياء والعجب وسائر ما يفسد العمل)[4] و...[5].

---

(١) الوسائل ج١٨ ص٥٦٢. وبحار الأنوار ج٣٦ ص٢٤٤ ب٤١ ح٥٧.

(٢) كتاب الطهارة للشيخ الأنصاري ص٣٢٩... السادس في النجاسات فصل في طهارة المخالف. وشبهه في بحار الأنوار ج٣٨ ص٩٧ ب٦١ ح١٤ وفيه: يا حذيفة إن حجة الله عليكم بعدي علي بن أبي طالب...

(٣) بحار الأنوار ج٦٩ ص٣٠٣ ب٥٦ ح٥٠.

(٤) بحار الأنوار ج١ ص١٢٨ ب٤ ح١١ (بيان).

(٥) سيأتي في مبحث (المحبة فرض عقلي فطري) ما يوضح هذا المبحث أكثر فأكثر.

بين الماديات والمعنويات

٩ـ وكما في عالم الماديات كذلك في عالم المعنويات، فكما جعل الله سبحانه وتعالى بعض المواد (مطهرة) من النجاسات والخبائث والمكروبات، (فالماء) مطهر و(الشمس) من المطهرات و(الأرض) تطهر و...[١].

وكذلك المضادات الحيوية (الأنتي بيوتيك) مثلاً قتالة الجراثيم والمكروبات.

كذلك، في المعنويات فـ(المعاصي) لها مطهرات، منها: الاستغفار، ومنها: المحبة لآل البيت عليهم السلام، ومنها المصائب التي تلحق بالإنسان، ومنها غير ذلك.

فعنه صلى الله عليه وآله: (حب علي بن أبي طالب يأكل السيئات

---

(١) راجع (المسائل الإسلامية) أحكام المطهرات.

كما تأكل النار الحطب)[1].

وفي رواية: (يأكل الذنوب، كما تأكل النار الحطب)[2].

و:(حب علي بن أبي طالب يحرق الذنوب كما تحرق النار الحطب)[3].

وعنه ﷺ: (إن حبه [أي علياً عليه السلام] يذيب السيئات كما تذيب النار الرصاص)[4].

ولذلك أيضاً قال ﷺ: (حب علي حسنة لا تضر معها سيئة وبغضه سيئة لا تنفع معها حسنة)[5].

---

(١) بحار الأنوار ج٢٧ ص١٣٦ ب٤ ح١٣٥ والبحار ج٣٩ ص٣٠٦ ب٨٧ ح١٢٣.

(٢) إحقاق الحق ج١٧ ص٢٤٣. والبحار ج٣٩ ص٢٥٧ ب٨٧ ح٣٤.

(٣) بحار الأنوار ج٣٩ ص٢٦٦ ب٨٧ ح٤٢.

(٤) المناقب المرتضوية للعلامة الكشفي ص١٢٣ ويقرب منه لسان الميزان ج١ ص١٨٥.

(٥) بحار الأنوار ج٣٩ ص٢٤٨ ب٨٧ ح٨. والبحار ج٣٩ ص٢٥٦ ب٨٧ ح٣٣. والبحار ج٣٩ ص٢٦٦ ب٨٧ ح٤٢. وينابيع المودة ص٤٩١. وتفسير هذا الحديث كتفسير الحديث الآخر: (لا يضر مع الإيمان عمل ولا ينفع مع الكفر عمل) قال العلامة المجلسي: (لا يضر مع الإيمان عمل) أي ضرراً عظيماً يوجب الخلود في النار (البحار ج٦٥ ص١٠٣ ب١٨ ح١٤).

والرواية التالية تكشف أفقاً آخر أوسع وأكبر:
قال ﷺ: (ما من عبد ولا أمة يموت وفي قلبه مثقال حبة خردل من حب علي بن أبي طالب إلا أدخله الله عز وجل الجنة)[1].

(١) بحار الأنوار ج٣٩ ص٢٤٦ ب٨٧ ح٢.



الواحة الخضراء

١٠ـ وكما أن أحدنا يغفر لمحبه ما لا يغفر لمبغضه، وكذلك لمحب أولاده وأسرته، أو حتى لمحبه تنظيمه وحزبه، ويتجاوز عن ذات المعصية التي لو صدرت من غير محبه لما عفي عنه.

كذلك، رب الأرباب ومولى الموالي، بل هو بالصفح أولى وللعفو أقرب.

مع فارق أن محبة متمم الكمال البشري ومن نذروا أنفسهم لله بمال لم يبلغ مرتبته بشر، يصلح أن يكون سبباً كافياً للصفح والتجاوز والغفران، دون الأفراد (كالأبناء مثلاً) والاعتبارات (كالتنظيمات وشبهها) التي يتخذها الإنسان محطات لعفوه وصفحه.

فمحبتهم عليهم السلام ـ وهم ذلك المجلى الأتم لقدرة الله تعالى ورحمانيته ورحيميته، وهم مظهر جمال الحق

ولطفه وكرمه ـ هي تلك الواحة الخضراء التي يلجأ إليها الضامي وسط البيداء هارباً من الموت الزؤام تحت سياط أشعة الشمس المحرقة.

ومحبتهم عليهم السلام هي سفينة النجاة في خضم التيارات والأمواج الهادرة في عالم الدنيا والآخرة.

إنها هي المنطلق... وهي تلك الأرضية الصلبة التي يستند إليها الإنسان لينال رضى الرب وغفران الذنب.

وإلى ذلك تشير الروايات، ومنها:

عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام، يقول: (لفاطمة وقفة على باب جهنم فإذا كان يوم القيامة، كتب بين عيني كل رجل، مؤمن أو كافر، فيؤمر بمحب قد كثرت ذنوبه إلى النار، فتقرأ بين عينيه محباً، فتقول: الهي وسيدي سميتني فاطمة وفطمت بي من تولاني وتولى ذريتي من النار، ووعدك الحق، وأنت لا تخلف الميعاد، فيقول الله عز وجل: صدقت يا فاطمة، إني سميتك فاطمة وفطمت بك من أحبك وتولاك وأحب ذريتك وتولاهم من النار ووعدي الحق وأنا لا أخلف الميعاد، وإنما أمرت بعبدي هذا إلى النار لتشفعي فيه،

فاشفعك، ليتبين لملائكتي وأنبيائي ورسلي وأهل الموقف موقفك مني ومكانتك عندي، فمن قرأت بين عينيه مؤمناً فجذبت بيده وأدخلته الجنة)[1].

وفي حديث آخر: (... فإذا صارت[2] عند باب الجنة، تلتفت، فيقول الله: يا بنت حبيبي ما التفاتك وقد أمرت بك إلى جنتي، فتقول: يا رب أحببت أن يعرف قدري في مثل هذا اليوم، فيقول الله: يا بنت حبيبي ارجعي فانظري من كان في قلبه حب لك أو لأحد من ذريتك خذي بيده، فأدخليه الجنة)[3]. الحديث.

---

(١) بحار الأنوار ج٨ ص٥٠ ب٢١ ح٥٨.

(٢) أي فاطمة (صلوات الله عليها).

(٣) بحار الأنوار ج٨ ص٥٢ ب٢١ ح٥٩.



من الأسباب الغيبية

١١ـ وقد مهد الله سبحانه وتعالى بعض الأسباب الغيبية الرائعة التي تساعد على فهم[١] مغفرة الله سبحانه وتعالى لمحبي فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها (صلوات الله عليهم أجمعين).

فكما جعل الله استغفرا الإنسان لنفسه والأدعية والأذكار والعمل الصالح سبباً لغفران الذنوب ومحو السيئات، كذلك جعل استغفار الآخرين للإنسان سبباً، ففي القرآن الكريم: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾[٢].

وقد جعل الله تعالى استغفار الرسول الأعظم ﷺ وأهل بيته عليهم السلام ودعاءهم ودعاء الملائكة لشيعة أمير المؤمنين عليه السلام ولمحبي فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها (عليهم

---

(١) هذا في مرحلة الإثبات، أما في مرحلة الثبوت فهي سبب المغفرة.

(٢) سورة مريم: الآية ٤٧.

صلوات المصلين)، سبباً لغفران ذنوب محبي أهل البيت عليهم السلام، أو رفعه لدرجاتهم، وذلك أجلى مصداق لمعادلة استغفرا المرء لغيره ودعائه له، والروايات في هذا المجال كثيرة.

منها: ما ورد عنه صلى الله عليه وآله: (... يا علي الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا بولايتنا)[1].

وفي حديث آخر في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ﴾ يعني رسول الله صلى الله عليه وآله والأوصياء من بعده يحملون علم الله ﴿وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ﴾ يعني الملائكة ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يعني شيعة آل محمد[2].

وعن ابن مسعود قال: (دخلت يوماً على رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت: يا رسول الله عليك السلام أرني

---

(١) سفينة البحار مادة (فضل) نقلاً عن الشيخ الصدوق (قدس سره). وبحار الأنوار ج١٨ ص٣٤٥ ب٣ ح٥٦. والبحار ج٢٦ ص٣٣٥ ب٨ ح١. والبحار ج٥٧ ص٣٠٣ ب٣٩ ح١٦. والبحار ج٦٥ ص٦ ب١٥ ح٤.

(٢) بحار الأنوار ج٦٥ ص٧٨ ب١٥ ح١٣٩.

الحق لأنطر إليه، فقال: يا عبد الله لج المخدع، فولجت المخدع وعلي بن أبي طالبﷺ يصلي وهو يقول في سجوده وركوعه: اللهم بحق محمد عبدك اغفر للخاطئين من شيعتي، فخرجت حتى اجتزت برسول الله فرأيته يصلي وهو يقول: اللهم بحث علي عبدك اغفر للخاطئين من أمتي...)[١].

ومن الواضح أن أمتهﷺ حقاً هم شيعة عليﷺ، أما غيرهم ـ بقرينة سائر الروايات التي سبقت وستأتي أيضاً وغيرها ـ فليسوا مقصودين للنبيﷺ، ولا مشمولين لدعائه.

وقال رسول اللهﷺ: (... فتعرضوا عباد الله بدعاء علي لكم، ولا تتعرضوا لدعاء علي عليكم، فإن من دعى عليه أهلكه الله ولو كانت حسناته عدد ما خلق الله، كما أن من دعى له أسعده الله ولو كانت سيئاته بعدد ما خلق الله)[٢].

وعن أبي عبد اللهﷺ إنه قال لأبي بصير: (يا أبا

---

(١) بحار الأنوار ج٤٠ ص٤٣ ب٩١ ح٨١.
(٢) بحار الأنوار ج١٧ ص ٣٢٠ـ ٣٢١ ب٢ ح١٥.

محمد إن لله عز ذكره ملائكة يسقطون الذنوب عن ظهور شيعتنا كما تسقط الريح الورق في أوان سقوطه، وذلك قوله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ﴾[1] استغفارهم والله لكم دون هذا الخلق)[2].

إضافة إلى الله سبحانه وتعالى، جعل لثواب تسبيح وتهليل و... كثير من ملائكته لمحبي فاطمة عليها السلام وذويها، ففي الحديث الشريف قال صلى الله عليه وآله: (وكانت الملائكة تسبح الله وتقدسه، فقال الله: وعزتي وجلالي لأجعلن ثواب تسبيحكم وتقديسكم إلى يوم القيامة لمحبي هذه المرأة وأبيها وبعلها وبنيها)[3].

ومن الواضح أن أي ثواب يضاف إلى قائمة عمل الإنسان يسبب ثقل كفة الميزان، ومع ذلك الثواب الهائل، لا بد أن ترجح نهائياً كفة الأعمال الصالحة،

---

(١) سورة غافر: الآية ٧.

(٢) بحار الأنوار ج٦٥ ص٧٧ ب١٥ ح١٣٧. وشبهه في البحار ج٥٦ ص١٩٦ ب٢٣ ح٦١. والبحار ج٦٥ ص٧٧ ب١٥ ح١٣٨.

(٣) ملحقات (إحقاق الحق) ج١٨ ص١٧٤. و(بحار الأنوار) ج٤٣ ص١٧ ب٢ ح١٦.

فينجو العبد المحب لفاطمة عليها السلام من النار، ويفوز بالجنة، وإن استحق مراتب من العذاب في القبر والبرزخ نظراً لمعاصيه، هذا فيما إذا لم تطهر المحب مشاكله وأتعابه ومصائبه في الحياة الدنيا كما سبق.



وعبر مختلف الدلائل

١٢ـ وعبر الدلالة الإلتزامية أو التضمنية أو دلالة الاقتضاء[1] لروايات كثيرة، نستكشف الأمر أيضاً، ومنها:

ما ورد الحديث، عن علي عليه السلام عن فاطمة عليها السلام قالت، (قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا فاطمة من صلى عليك غفر الله له وألحقه بي حيث كنت من الجنة)[2].

ومن الواضح إن ذلك مشروط بعدم التراجع والعود إلى المعاصي التي تستوجب النار، فالأمر فيه كالأمر في الاستغفار.

---

(١) وهي ما تتوقف صحة أو صدق الكلام عليه.

(٢) كشف الغمة ص٤٧٢ ج١. وبحار الأنوار ج٩٧ ص١٩٤ ب٥ ح١٠ عن مصباح الأنوار. والبحار ج٤٣ ص٥٥ ب٣ ح٤٨.



التلازم بين الحب والإيمان

١٣ـ وهناك تلازم حقيقي بين حبهم عليهم السلام وبين الإيمان، وبين بغضهم وبين النفاق.

وهذا ما تكشف عنه الروايات، منها:

قوله صلى الله عليه وآله: (حب علي آية الإيمان)[1].

وخطب رسول الله صلى الله عليه وآله في يوم الجمعة قائلاً:

(... أيها الناس أوصيكم بحب ذي قرباها أخي وابن عمي علي بن أبي طالب، لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق، من أحبه فقد أحبني، ومن أبغضه فقد أبغضني، ومن أبغضني عذبه الله بالنار)[2].

---

(١) إزالة الخفاء للمحدث الدهلوي الحنفي ج٢ ص٤٥٣.

(٢) رواه أحمد في كتاب فضائل علي عليه السلام. وبحار الأنوار ج٤٠ ص٨٤ ب٩١ ح١١٤.

وعنه ﷺ:

(ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان. . . ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة، ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه: آيس من رحمة الله، ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً، ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة)[1].

---

(١) جامع الأخبار ص١٩٣. وفي بحار الأنوار ج٢٣ ص٢٣٣ ب١٣ عن صاحب الكشاف.

الجانب الطريقي لمحبتهم عليهم السلام

١٤ـ ولمحبة فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها (عليهم أفضل الصلاة والسلام) جانب طريقي أيضاً، فإن المحب يندفع شعورياً أو لا شعورياً، وبإيحاءات من الوعي الباطن نحو التأسي بمن أحب أو على حسب تعبير علماء النفس «لتقمص» شخصية المحبوب، ولذلك كان حب الله وحب أولياء الله من أقوى العوامل الدافعة لتهذيب النفس وتطهير الروح وتنامي الملكات الحميدة ومكارم الأخلاق.

وكلما ازداد الإنسان حباً ازداد إتباعاً وولاءاً وعطاءاً، وكلما ترسخ الحب في أعماق كيانه وتجذر أكثر فأكثر تأقلمت حياته وتحددت مسيرته على ضوء إشعاعات ذلك الحب، أكثر فأكثر، وقد قال الإمام الصادق عليه السلام: (وهل الدين إلا الحب)[1].

---

(١) بحار الأنوار ج٢٧ ص٩٥ ب٤ ح٥٨، والبحار ج٦٦ ص٢٣٨ ب٣٦ ح٩، والبحار ج١٠١ ص١٣٠ ب٥ ح١٩.

وذلك من أسباب التركيز الكبير في الروايات على محبة المعصومين عليهم صلوات المصلين.

وإذا كانت النفس والدنيا والشياطين والهوى تدفع الإنسان نحو اقتراف الآثام واجتراح السيئات، فإن (المحبة) تعد سلاحاً يواجه به قوى الشر وعوامل الضلال.

فكما (العقل) فكذلك (المحبة).

وكما قد يعجز (العقل) عن مواجهة جيوش الضلال والإضلال، كذلك قد تقصر (المحبة) عن الردع عن المعاصي والطغيان.

وكما لا يفقد ذلك العجز قيمة (العقل)، كذلك لا يفقد ذلك القصور قيمة (المحبة).

بل كما أن شدة ضراوة قوى الضلال تدعونا لإذكاء العقل وتقويته وتعرفنا على قيمته أكثر فأكثر، كذلك تنامي جيوش الضلال تدعونا إلى إذكاء أوار (المحبة) والهابها، وإلى السعي لتنميتها ودفع الناس باتجاهها أكثر فأكثر.

وقد أكدت على ذلك الروايات الشريفة وفي منظار أشمل.. تتكامل أمام ناظرينا خطوط المواجهة وعناصر

قوى الخير في مقابل مفردات قوى الشر، ففي معسكر الضلال تحتشد: الشياطين، وشهوات النفس، ومغريات الدنيا، لتواجهها في معسكر الإيمان: الحجة الظاهرة، الرسل، والحجة الباطنة: العقل، و(المحبة) تلك الشحنة الروحانية الإلهية السامية[1] التي نسبها الله تعالى إلى نفسه حيث قال سبحانه: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾[2] كما قال تعالى: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾[3].

وإذا اتضح لنا الجانب الطريقي (لمحبة أهل البيت عليهم السلام) ننتقل إلى تسليط الأضواء على الجانب الموضوعي لها:

(١) يراجع كتاب (السيدة نرجس عليها السلام مدرسة الأجيال) للسيد المؤلف.
(٢) سورة طه: الآية ٣٩.
(٣) سورة الإسراء: الآية ٨٥.



الموضوعية في محبة آل بيت الرسولﷺ

إن الذي يستفاد من الآيات والروايات أن محبة فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها (صلوات الله عليهم أجمعين) لها الموضوعية، إضافة إلى مالها من الطريقية، فهي في حد ذاتها محمودة وممدوحة ومطلوبة، وهي في حد ذاتها مقياس، وهي في حد ذاتها عبادة.

فهي كـ (الصلاة) فكما أن الصلاة (عبادة في حد ذاتها) وطريق إلى الردع عن المعاصي حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[1].

كذلك محبة السيدة الزهراء وأبيها وبعلها وبنيها (عليهم أفضل صلوات المصلين)، قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[2].

---

(١) سورة العنكبوت: الآية ٤٥.

(٢) سورة الشورى: الآية ٢٣.

بل إن هذه المحبة هي أفضل العبادات على الإطلاق بعد محبة الله تعالى.

فقد ورد: (إن حبها عليها السلام إيمان وبغضها نفاق)[1].

ومن الواضح أن الإيمان له قيمة ذاتية وله الموضوعية إلى جانب الطريقية.

ومن الواضح أيضاً أن الإيمان هو جوهر العبادات.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (إني لأرجو لأُمتي في حب علي كما أرجو في قول لا إله إلا الله)[2].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: (حب علي عبادة وأفضل العبادة)[3].

وعن أبي ذر: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (مودة علي عبادة)[4].

---

(١) شرح الحديدي ج١٦ ص٢٨٢.

(٢) بحار الأنوار ج٣٩ ص٢٤٩ ب٨٧ ح١٣.

(٣) تاريخ بغداد ج١٢ ص٣٠١.

(٤) العلامة الأميني عن الحيدرآبادي في مناقب علي ص٥٣.

وقال رسول الله ﷺ: (حب علي عبادة)[1].

وعن علي بن أبي طالب عليه السلام قال رسول الله ﷺ: (قلت لجبرئيل، أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل، قال: الصلاة عليك يا رسول الله ﷺ وحب علي بن أبي طالب)[2].

بل إن: (النظر إلى وجه علي عبادة)[3].

و: (ذكر علي عبادة)[4].

بل قد ورد عن رسول الله ﷺ قال: (أيها الناس من أراد أن يطفىء غضب الله وأن يقبل الله عمله فلْينظر إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فالنظر إليه يزيد في الإيمان، وإن

---

(١) تفريج الأحباب في مناقب الآل والأصحاب ص٣٤٠. وإحقاق الحق ص١٧ ص٢٣٤. وبحار الأنوار ج٣٩ ص٢٧٩ ب٨٧ ح٦٠ عن الصادق عليه السلام.

(٢) السخاوي الشافعي في القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع ص٩٤، إحقاق الحق ج١٧ ص٢٥١. وشبهه أيضاً في بحار الأنوار ج٩٣ ص١٧١ ب١٩ ح٦.

(٣) (٤) وقد روي هذا الحديث بطرق مختلفة من الشيعة والسنة، كما يرويها ابن حجر في كتابه الصواعق المحرقة. وفي بحار الأنوار ج٢٥ ص٣٢٤ ب١٠ ح٩٢. والبحار ج٣٨ ص١٩٥ ب٦٤ ح١. والبحار ج٣٨ ص١٩٧ ب٦٤ ح٥. والبحار ج٣٨ ص٢٠١ ب٦٤ ح٩. والبحار ج٤٠ ص٧٨ ب٩١ ح١١٣.

حبه يذيب السيئات كما يذيب النار الرصاص)[1].

ومن الواضح أن المراد (بالنظر إليه) ذلك الصادر عن غير المبغض له عليه السلام.

فما بالك بمحبته وهي تتعلق بالقلب الذي يفوق شرفاً، العين واللسان؟، بل إليه يرجع ما لهما من الشرف، وباعتباره لهما المكانة والقيمة، وباعتباره يمدحان أو يذمان.

وذلك أن محبتهم عليهم السلام امتداد لمحبة الله، بل هي قوام محبته تعالى، وتشير إلى ذلك روايات كثيرة منها:

عن جماعة: قلنا يا ابن عباس! أينفع حب علي بن أبي طالب عليه السلام في الآخرة، قال: قد تنازع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله في حبه حتى سألنا رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال: (دعوني حتى أسأل الوحي، فلما هبط جبرئيل عليه السلام سأله، فقال: اسأل ربي عز وجل عن هذا، فرجع إلى السماء ثم حبط إلى الأرض فقال: يا محمد إن الله تعالى يقرىء عليك السلام ويقول: (أحبّ علياً، فمن أحبه فقد أحبني، ومن أبغضه فقد أبغضني، يا محمد حيث تكن

(١) كشف النجفي، المناقب المرتضوية ص١٢٣.

يكن علي، وحيث يكن علي يكن محبوه وإن اجترحوا وإن اجترحوا)[1].

ذلك إنه ليس محباً لله من لم يحب من أحبهم الله واعتبرهم أفضل مخلوقاته على الإطلاق... وإلى ذلك تشير هذه الرواية:

(... ومن لم يشهد أن لا إله إلا أنا وحدي، أو شهد بذلك ولم يشهد أن محمداً عبدي ورسولي، أو شهد بذلك ولم يشهد أن علي بن أبي طالب خليفتي، أو شهد بذلك ولم يشهد أن الأئمة من ولده حججي، فقد جحد نعمتي وصغر عظمتي وكفر بآياتي وكتبي ورسلي، إن قصدني حجبته، وإن سألني حرمته، وإن ناداني لم أسمع نداءه، وإن دعاني لم أسمع دعاءه، وإن رجاني خيبته، وذلك جزاؤه مني وما أنا بظلام للعبيد)[2].

ومحبتهم أجلى مصداق، للحب في الله والحب لله والحب بالله، فكما أن الإيمان بالله تعالى والاعتراف بالوحدانية والاعتراف بالرسالة، له الموضوعية، كذلك

---

(١) بحار الأنوار ج٣٩ ص٢٩٤ ب٨٧ ح٩٧.

(٢) إكمال الدين ص١٥٠. وبحار الأنوار ج٢٧ ص١١٩ ب٤ ح٩٩.

الاعتراف بالإمامة، فإن الإمامة أصل من أصول الدين دون ريب[1].

ومما يدل على موضوعية المحبة أيضاً مختلف الروايات الدالة على أن (حب عليٍّ يذيب السيئات) فلتراجع في مظانها[2]. ولأجل ذلك قال جابر بن عبد الله الأنصاري: يا عطية سمعت حبيبي رسول الله ﷺ يقول: (من أحب قوماً حشر معهم ومن أحب عمل قوم أشرك في عملهم)[3].

---

(١) راجع (دلائل الصدق) للمظفر ج٢ ص١١ و٢٩. والبحار ج٦٨ ص٣٣٤. و(الألفين) للعلامة الحلي (قدس سره) وسائر كتب الحديث والكلام.

(٢) وقد أشرنا إلى بعضها فيما سبق.

(٣) بشارة المصطفى ص٨٩. وبحار الأنوار ج٦٨ ص١٣٠ ب١٨ ح٦٢.

المحبة فرض عقلي فطري

وكما أن محبة الله تعالى فرض عقلي فطري، كذلك محبة من بيمنهم رزق الورى[1]، وبوجودهم ثبتت الأرض والسماء، وهم وسائط الفيض الإلهي بكافة جوانبه، حدوثاً وبقاءاً، وأصلاً ونماءاً[2].

ومما يكشف عن الجانب الموضوعي للمحبة، الرواية التالية، فعن عبد الله بن مسعود: كنا مع النبي ﷺ في بعض أسفاره إذ هتف بنا أعرابي بصوت جهوري، فقال: يا محمد، فقال له النبي ﷺ: ما تشاء؟ فقال: إن المرء يحب القوم ولا يعمل بأعمالهم؟ فقال النبي ﷺ:

---

(١) ذكر هذه الصفات تتضمن الإشارة إلى إحدى علل القول بأن: (محبتهم فرض عقلي فطري) نظراً لكونهم أولياء النعم كلها ومحبتهم هي من أجلى مصاديق (شكر المنعم) الواجب بضرورة العقل، وبغضهم من أجلى مصاديق كفران النعمة.

(٢) راجع للتفصيل كتاب من (فقه الزهراء عليها السلام ج١) للإمام الشيرازي.

(المرء مع من أحب)[1].

إذن (المحبة) في حد ذاتها مقياس ومعيار وميزان، بل هي المقياس الرئيسي، وعليها ـ وبتصريح الرسول الأعظمﷺ ـ تدور معادلة الجنة والنار والسعادة والشقاء، ولا ينافي ذلك أن يستحق العاصي العقوبة في الدنيا أو الآخرة، عقوبة لا تصل لدرجة الخلود في النار كما سيجيء.

والرواية التالية تؤكذ ذلك وتوضحه أكثر فأكثر:

قالﷺ: (إن شأن علي عظيم، إن حال علي جليل، إن وزن علي ثقيل، ما وضع حب علي في ميزان أحد إلا رجح على سيئاته، ولا وضع بغضه في ميزان أحد إلا رجح على حسناته)[2].

ومما يوضح المعادلة أكثر فأكثر[3]: لو أن مشركاً قضى عمره كله في الشرك تاركاً لأوامر الله مقتحماً نواهيه، ولكن تاب ولم يمهله الأجل حتى لحظة

(١) بحار الأنوار ج٢٧ ص١٠٢ ب٤ ح٦٧.
(٢) بحار الأنوار ج٣٩ ص٢٦ ب٧٢ ح٩.
(٣) هذا يوضح أن المقياس الحقيقي هو الجوانح لا الجوارح.

واحدة[1] للتكفير عن ماضيه أو لأداء أي عمل، كان من أهل الجنة.

والعكس بالعكس تماماً، فلو أن مؤمناً قضى عمره صائماً نهاره قائماً ليله، ثم ارتد لحظة واحدة ومات بعدها، فإنه من أهل النار ولو لم يجترح أية معصية بجوارحه[2].

وكذلك الأمر في جاحد الرسالة والمؤمن بها.

وكذلك الأمر في جاحد الولاية والمؤمن بها.

---

(١) ويستثنى منه فقط ما لو آمن عند مشاهدة ﴿بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ أي عندما كشفت له آفاق عالم الآخرة، كما في قضية فرعون حيث جاء في القرآن، أما لو آمن وهو بحالة طبيعية ثم قتل باصطدام أو شبهه ـ مثلاً ـ كان من أهل الجنة.

(٢) قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ سورة الأنعام: الآية ٨٨.

وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ سورة المائدة: الآية ٥.

وقال سبحانه: ﴿ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ سورة هود: الآية ١٦.

وقال سبحانه: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ سورة الزمر: الآية ٦٥.

ومما يوضح المعادلة أكثر فأكثر الخبر التالي: عن زيد النرسي قال: (قلت لأبي الحسن موسى عليه السلام: الرجل من مواليكم يكون عارفاً[1]، يشرب الخمر ويرتكب الموبق من الذنب، نتبرأ منه؟ فقال؛ تبرؤوا من فعله ولا تبرؤوا منه، أحبوه وأبغضوا عمله، قلت: فيسعنا أن نقول: فاسق فاجر؟ فقال: الفاسق الفاجر: الكافر الجاحد لنا، الناصب لأوليائنا، أبى الله أن يكون ولينا فاسقاً فاجراً[2] وإن عمل ما عمل، ولكنكم تقولون: فاسق العمل، فاجر العمل، مؤمن النفس، خبيث الفعل، وطيب الروح والبدن)[3].

وببيان آخر، إن إطاعة الله تعالى في كافة أوامره، دون إطاعته في أهمها وهو ولاية الرسول صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام وسائر أهل البيت عليهم السلام لا ينفع مثقال ذرة.

فكما أن قبول العبادة مشروط بـ (التوحيد) وكما أنه مشروط بـ (الرسالة)، كذلك هو مشروط بـ (الولاية)[4].

---

(١) أي عارفاً بولاية أهل البيت عليهم السلام.

(٢) أي فاسقاً وخارجاً عن الدين، أي فاسق العقيدة وفاجر الإيمان.

(٣) بحار الأنوار ج٦٨ ص١٤٧ ب١٨ ح٩٦، وشبهه في البحار ج٢٧ ص١٣٧ ب٤ ح١٣٩.

(٤) للتفصيل الأكثر راجع الغدير الجزء الثاني والجزء الثالث.

وهل يستغرب ذلك، من لاحظ أن عبادة إبليس آلاف السنين[1]، لم تنفعه مثقال ذرة، لمجرد رفضه إطاعة أمر الله تعالى بالسجود لآدمعليه السلام فأخرج منها مذموماً مدحوراً واستحق لعنة الله إلى أبد الآباد؟.

إن المقياس هو أن تطيع الرب فيما يعتبره هو الأساس، لا ما تعتبره أنت المقياس والأساس وإن الذي يحدد (مقاييس) القبول والرفض هو الله سبحانه وتعالى، وليس الإنسان الظلوم الجهول العاجز المحدود.

وإن بغض أمير المؤمنينعليه السلام مفسد للعمل، كما يفسد (العجب) العبادة[2] وكما يفسد ميكروب واحد

---

(١) ففي الرواية: إن إبليس ركع ركعتين في السماء في أربعة آلاف سنة. راجع بحار الأنوار ج١١ ص١٤٢ ب٢ ح٨. وفي رواية: أنه عبد الله ستة آلاف سنة، راجع البحار ج١٤ ص٤٦٥ ب٣١ ح٣٧. وفي رواية: إن إبليس سجد سجدة واحدة أربعة آلاف عام، راجع البحار ج٢٧ ص ١٧٤ـ ١٧٥ ب٧ ح٢٠. وفي حديث: إن إبليس عبد الله في السماء سبعة آلاف سنة في ركعتين. راجع البحار ج٦٣ ص٢٤٠ ب٣ ح٨٤.

(٢) وقد فسر العلامة المجلسي العجب بأنه استعظام العمل الصالح واستكثاره والابتهاج له والإدلال به وأن يرى نفسه خارجاً عن حد التقصير. راجع بحار الأنوار ج٧٢ ص٣٠٦ ب١١٧ ح١ (بيان المجلسي). وراجع أيضاً البحار ج٧٢ ص٣١٠ ب١١٧ ح٤.

مخازن المياه. . . وكما تقضي قنبلة ذرية واحدة على ملايين البشر وآلاف العلماء وحضارات بشرية متكاملة.

وإن الجهاد في سبيل الله وتحت راية رسول الله يفقد قيمته تماما ليتحول الشخص إلى (شهيد الحمار) و(شهيد أم جميل) كما قاه رسول الله ﷺ لمجرد أن (نيته) كانت غير خالصة لوجه الله، ولم تنفعه جهوده وتضحياته شيئاً، ولم تصلح لقبول عمله بعد أن كانت النية ملوثة.

أفلا يكفي ذلك شاهداً ودليلاً؟

فكما اعتبر الله تعالى (النية) محور القبول والرد فـ (إنما الأعمال بالنيات)[1] (وإنما لكل امرىء ما نوى)[2] كذلك اعتبر (محبة فاطمة عليها السلام وذريتها) و(بغضهم) محور القبول والرد. . .

ولا تنفع الإنسان بعد ذلك، سجلات ضخمة يقدمها عن جهاده وجهوده! كما قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾[3].

---

(١) بحار الأنوار ج٧٠ ص٢١١ ب٥٣ ح٣٥. والبحار ج٨٠ ص٣٧١ ب٢٢ ح٣٢.

(٢) بحار الأنوار ج٧٠ ص١٨٦ ب٥٣ ح١. والبحار ج٧٠ ص٢١٠ ب٥٣ ح٣٢.

(٣) سورة الفرقان: الآية ٢٣.

وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[1].

وعن عباد بن زياد قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: (يا عباد ما على ملة إبراهيم أحد غيركم، وما يقبل الله إلا منكم ولا يغفر الذنوب إلا لكم)[2].

وعن أبان بن تغلب قال: قال أبو جعفر عليه السلام... (إذا قدمت الكوفة إن شاء الله فاروِ عني هذا الحديث: من يشهد أن لا إله إلا الله وجبت له الجنة، فقلت: جعلت فداك يجيئني كل صنف من الأصناف فأروي لهم هذا الحديث؟ قال: نعم، يا أبان بن تغلب إنه إذا كان يوم القيامة جمع الله تبارك وتعالى الأولين والآخرين في روضة واحدة، فيسلب لا إله إلا الله إلا ممن كان على هذا الأمر)[3].

وفي رواية أخرى عن أبي سعيد الخدري: أرسل رسول الله صلى الله عليه وآله منادياً ينادي، من قال: (لا إله إلا الله محمد رسول الله» دخل الجنة، فاستقبل النادي عمر بن

---

(1) سورة المائدة: الآية ٢٧.

(2) بحار الأنوار ج٦٨ ص٨٩ ب١٦ ح١٧ عن المحاسن.

(3) بحار الأنوار ج٦٨ ص٩٥ ب١٦ ح٣٨. والمحاسن ص١٨١ ومثله في ص٣٣.

الخطاب فسأله أعام هو أم خاص؟ قال: فرجع المنادي إلى رسول الله ﷺ وقال: أمرتني أن أنادي في الناس وإن عمر استقبلني فقال: أعام هو أم خاص؟ قال: فضرب رسول الله بيده على منكب علي عليه السلام، فقال: هي لهذا ولشيعته[1].

(1) بشارة المصطفى ص١٨٩. وبحار الأنوار ج٦٨ ص١٣٦ ب١٨ ح٧٤.

إشكال وجواب

وربما يعترض على ما ذكر بالرواية التالية، قال أمير المؤمنين عليه السلام: (أما إن وليّ محمد من أطاع الله وإن بعدت لحمته[1] وإن عدو محمد من عصى الله وإن قربت قرابته)[2].

والجواب:

١ـ إن المقابلة في الحديث الشريف هي، بين إطاعة الله تعالى وبين القرابة، وليست بين الإطاعة والمحبة، فتأمل.

---

(١) (اللحمة: القرابة).

(٢) نهج البلاغة الحكمة رقم ٩٥. وفي بحار الأنوار ج٦٤ ص٢٥ ب١ عنه عليه السلام قال: (إن أولى الناس بالأنبياء أعلمهم بما جاؤوا به... إن ولي محمد صلى الله عليه وآله من أطاع الله وإن بعدت لحمته، وإن عدو محمد من عصي الله وإن قربت قرابته). ومثله في البحار ج٦٥ ص٨٣ ب١٦. والبحار ج٦٨ ص١٨٩ ب٦٤ ح٥٥.

وببيان آخر: إن الكلام في الإطاعة والمعصية في ظل لحاظ عامل القرابة، وليس بلحاظ وجود عامل آخر (هو مورد حديثنا) وهو المحبة، فهو نفي للقرابة كمقياس، وليس ناظراً إلى موضوع المحبة أبداً.

وبعبارة أخرى: كما أن كون عاصي الله عدواً لمحمد ﷺ، لا ينفي كون الاستغفار والتوبة والشفاعة و... عوامل غفران الذنوب والخروج عن دائرة المعصية والرفض إلى دائرة التوبة وحضيرة الإيمان، كذلك لا ينفي كون المحبة كذلك عاملاً لغفران الذنوب وسبباً للتكفير.

٢ـ وقد يقال: بأن الحديث في مقام التعريض بغاصبي الخلافة، فهو يعدو واحداً من الأجوبة والاحتجاجات التي احتج بها الإمام عليه السلام على معارضيه، مضافاً إلى الأجوبة الأخرى التي كان منها:

فإن كنت بالشورى ملكت أمورهم
فكيف بهذا والمشيرون غيّب
وإن كنت بالقربى حججت خصيمهم
فغيرك أولى بالنبي وأقرب

٣ـ المصداق الأجلى لإطاعة الله تعالى هو ـ

حسب متواتر الروايات كما سبق ـ إطاعة الله عز وجل في أمره لمحبة أهل البيت عليهم السلام، بل يدل عليه القرآن الكريم: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[1].

فلو أطاع عبد الرب في هذا الأمر الأعظم، وعصاه في سائر أوامره، أو بالعكس[2] ماذا سيكون الحكم عندئذ؟!

هذه الرواية لا تجيب على ذلك، والجواب إضافة إلى ما سبق وسيأتي[3] تتعرض له سائر الروايات ومنها:

إن رجلاً من المنافقين قال لمولانا الرضا عليه السلام: إن من شيعتكم من يشرب الخمر على الطريق، فقال: الحمد لله الذي جعلهم على الطريق فلا يزيغون عنه، واعترضه آخر فقال: إن من شيعتكم من يشرب النبيذ [يعني الخمر]... قال: فعرق وجهه الشريف حياءً ثم قال: (الله أكرم من أن يجمع في قلب المؤمن بين رسيس

---

(١) سورة الشورى: الآية ٢٣.

(٢) بأن عصى الرب في هذا الأمر الأعظم، وأطاعه في سائر أوامره، كما صنع إبليس عند أمره بالسجود لآدم عليه السلام.

(٣) ومما سبق: إن حكم هذا كحكم من أنكر الرسالة وأطاع الله فيما عدا ذلك.

الخمر وحبنا أهل البيت، ثم صبر هنيئة قال: وإن فعلها المنكوب منهم فإنه يجد رباً رؤوفاً، ونبياً عطوفاً، وإماماً على الحوض عروفاً، وسادةً له بالشفاعة وقوفاً وتجد أنت روحك في برهوت ملوفاً)[1].

وقد ذكرنا سابقاً رواية زيد النرسي عن الإمام أبو الحسن موسى الكاظم عليه السلام: (الرجل من مواليكم، يكون عارفاً، يشرب الخمر...)[2] فليراجع[3].

ومن هذه الرواية نستكشف جواباً آخر وهو أن الولاية والعداوة هي أمور إضافية، فمن التزم أمراً من أوامر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهو له ولي بالإضافة إلى هذا الأمر، إذ قد تولاه وأتبعه في أمره هذا، وإذا عصاه في أمر آخر فهو له عدو بالقياس إلي هذا الأمر فحسب.

فالتولي والعصيان من جهتين وباعتبارين، بل نقول: وهو ما تصرح به هذه الرواية وهو ما يقتضيه

---

(١) بحار الأنوار ج٢٧ ص٣١٤ ب٩ ح١٢. وشبهه في علم اليقين للفيض الكاشاني ج٢ ص٦٠٣.

(٢) بحار الأنوار ج٦٥ ص١٤٧ ب١٨ ح٩٦ عن كتاب زيد النرسي.

(٣) بحار الأنوار ج٦٨ ص١٤٧ ب١٨ ح٩٦. وشبهه في البحار ج٢٧ ص١٣٧ ب٤ ح١٣٩.

الجمع بين الروايات: إن الولي من أطاع الله في أعظم أمر له، أي في ذلك الأمر الذي اعتبره الله المحور الأساسي والجوهر، وإن العدو من عصى الله في أعظم أمر له وهو ما جعله الله مناطاً لقبول الأعمال وردها[1].

(١) أي الإيمان بالله تعالى وبرسالة النبي محمد ﷺ وبولاية علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة الإثني عشر عليهم السلام.

المعدن الأسمى

والآن سننتقل إلى نقطة أخرى جوهرية، تكشف عن آفاق شديدة الأهمية:

إن (محبة فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها) هي (حلقة وصل) وهي رابط جوهري بين الماضي السحيق والمستقبل السعيد، وهي جزء من منظومة غيبية ـ تكوينية متكاملة.

إن استقرار محبة أهل البيت عليهم السلام في قلب المرء يكشف حسب الروايات المتواترة وبالبرهان الإني[1]، عن طيب ولادته، وعن نقاء سريرته، وعن (سمو معدنه وجوهره) والعكس بالعكس تماماً، فقد ورد عن

(١) البرهان الإني هو: الانتقال من المعلول إلى العلة والاستدلال به عليها، على عكس البرهان اللمي، وهناك برهان يسمى بالشبيه باللم، راجع كتب الفلسفة والمنطق.

رسول الله ﷺ: (من أحبنا أهل البيت فليحمد الله على أولى النعم، قيل: وما أولى النعم؟ قال: طيب الولادة، فلا يحبنا إلا من طابت ولادته)[1].

وقال رسول الله ﷺ: (يا علي من أحبني وأحبك وأحب الأئمة من ولدك فليحمد الله على طيب مولده فإنه لا يحبنا إلا من طابت ولادته ولا يبغضنا إلا من خبثت ولادته)[2].

وعن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: (من أحبنا أهل البيت، فليحمد الله على أول النعم، قيل: وما أولى النعم؟ قال: طيب الولادة، ولا يحبنا إلا من طابت ولادته)[3].

فبغض آل بيت الرسول ﷺ يكشف عن خبث الولادة وسوء السريرة وعن (طينة خبال) التي عجنت منها خلقة ذلك العدو المبغض.

هذه هي جذور المعادلة، ومن الطبيعي أن تتماسك الحلقات وتتسلسل هكذا: خبث الولادة بغض آل البيت دخول النار.

---

(١) ينابيع المودة ج٢ ص٧٠ وص١٢٩.

(٢) بحار الأنوار ج٢٧ ص١٤٦ ب٥ ح٥.

(٣) بحار الأنوار ج٢٧ ص١٤٥ ب٥ ح٣.

وفي المقابل: طيب الولاية حب آل البيت دخول الجنة.

وهي تتطابق مع قاعدة (السنخية) في إطار (قاعدة الاختيار)[1] والأدلة على معادلة (الجوهر الحقيقي لكل فرد ومعدنه) متواترة، وفي أخبار (الطينة) أكبر دليل وشاهد[2].

---

(١) إشارة دقيقة إلى ما سيأتي من أن (معادلة: الجوهر والمعدن والطينة) لا تنسف قاعدة (الإرادة والاختيار) ولا تناقضها، فدقق.

(٢) ومن تلك الإخبار، كنموذج من عشرات الروايات: قال الله تعالى لرسوله: (أنت شجرة وعلي غصنها وفاطمة ورقها، والحسن والحسين ثمارها، خلقتهما من طينة عليين، وخلقت شيعتكم منكم، إنهم لو ضربوا على أعناقهم بالسيوف ما ازدادوا لكم إلا حباً، قلت: يا رب ومن الصديق الأكبر؟ قال أخوك علي بن أبي طالب) أخرجه القريشي في شمس الإخبار ص٣٣ راجع الغدير ج٢ ص ٣٠٥ـ ٣١٦. ومنها: عن أبي جعفر عليه السلام قال: (أنا وشيعتنا خلقنا من طينة من عليين وخلق عدونا من طينة من خبال من حمأ مسنون). بحار الأنوار ج٥ ص٢٢٥ ب١٠ ح٥.

وعن علي بن الحسين عليه السلام: (إن الله عز وجل خلق النبيين من طينة عليين قلوبهم وأبدانهم وخلق قلوب المؤمنين من تلك الطينة وخلق أبدانهم من دون ذلك وخلق الكافرين من طينة سجيل قلوبهم وأبدانهم) البحار ج٥ ص٢٣٩ ب١٠ ح١٨.

وعن محمد بن حمران قال سألت الصادق عليه السلام: (من أي شيء خلق الله طينة المؤمن؟ قال: من طينة عليين) البحار ج٦٤ ص٧٨ ب٣ ح٦.

وفي أمثال رواية: (الناس معادن كمعادن الذهب والفضة)[1] شاهد آخر.

وفي إلحاق ابن المسلم ـ ولو كان سقطاً ـ بأبيه[2] ودخوله الجنة[3]، رغم عدم قيامه بأي عمل شاهد ثالث.

وفي تفاضل درجات الناس صغاراً وكباراً عند الله وفي الجنة، على الرغم من أن معادلة الأعمال قد تكون متعاكسة، شاهد آخر، فإن نبي الإسلام ﷺ، أفضل من نوح النبي عليه السلام، ولو عمر ما عمر وعبد ما عبد.

وإن فاطمة الزهراء عليها السلام حسب الروايات أفضل من النبي آدم عليه السلام ومن الإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، ولا يؤثر في جوهر المعادلة أن تكون من صلب آدم عليه السلام، أو يكون الإمام الحجة (عجل الله تعالى

---

(1) بحار الأنوار ج٥٨ ص٦٥ ب٤٢ ح٥١ عنه ﷺ. والبحار ج٥٨ ص١٠٦ ب٤٢. والبحار ج٦٤ ص١٢١ ب٣ ح٢٤.

(2) في الحكم عليه بالطهارة، وفي عدد من الأحكام الأخرى، كالإرث والدفن و... راجع (موسوعة الفقه) و(المسائل الإسلامية) بحث المطهرات.

(3) راجع بحار الأنوار ج٧٩ ص١١٧ ب١٧ ح٩ عنه ﷺ: (تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم حتى أن السقط ليظل مخبنطئاً على باب الجنة يقال له ادخل، يقول حتى يدخل أبواي).

فرجه الشريف) من صلبها، أو معادلة العمر الطويل، والإنجازات العملية الكبرى.

ومحسن السقط عليه السلام أعلى منزلة في الجنة من ملايين المؤمنين، وإن عملوا ما عملوا وتجشموا من العناء في سبيل الله ما تجشموا.

والعقلاء تراهم يجعلون مقياس تقييمهم الحقيقي هو الجوهر واللباب، (فالخبيث) وإن عمل ما عمل، يكرهونه ويحذرونه، ولو لم يكونوا مضطرين لاستغنوا من خدماته.

وكذلك فإنهم يقدرون (التقي الورع) والطيب السريرة وإن كان يعيش في أقصى الأرض، لا تربطهم به رابطة عمل أو منفعة[1] وإن الذهب والدر في ذاته، مع قطع النظر عن أي اعتبار آخر أرقى من الفحم والتراب.

---

(١) بملاحظة النقاط الأخرى التي طرحت أو ستطرح فيما بعد، ستتكامل الصورة ويمكن دفع الإشكالات إن شاء الله.

ولكن لماذا هذا التمييز؟

ولكن ما السبب في أن يخلق الله تعالى هذا الإنسان من معدن أسمى، وذاك من معدن أدنى أو حتى من (طينة خبال)[1]؟.

أليس ذلك ظلماً؟!

كلا وألف كلا.

فلنعد قليلاً إلى الوراء، لنلقي نظرة أكثر شمولية على المنظومة الغيبية ـ التكوينية: المتكاملة، كان ذلك في (عالم الذر) وما قبله من العوالم أيضاً...

وهذه بعض اللمحات: (يا علي لولا نحن ما خلق الله آدم ولا حواء ولا الجنة ولا النار ولا السماء ولا

---

(١) راجع بحار الأنوار ج٥ ص٢٢٥ ب١٠ ح٣ عن الباقر عليه السلام: (أنا وشيعتنا خلقنا من طينة من عليين وخلق عدوان من طينة من خبال من حمأ مسنون). وراجع أيضاً البحار ج٥ ص٢٤٧ ب١٠ ح٣٦.

الأرض، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سبقناهم إلى معرفة ربنا وتسبيحه وتهليله وتقديسه)[1].

ولقد كان ذلك ملأ اختيار أفراد البشرية، ولقد اتخذ كل فرد قراره بملأ حريته، وجنى من جنى منهم على نفسه كذلك، وإليكم هذه الرواية وتشابهها عشرات الروايات الأخرى التي جرت في ذلك الماضي السحيق، وذلك العالم الأسبق.

فعن أبي جعفرعليه السلام قال: (إن الله عز وجل خلق الخلق، فخلق من أحب مما أحب[2]، فكان ما أحب أن خلقه من طينة الجنة، وخلق من أبغض مما أبغض، وكان ما أبغض أن خلقه من طينة النار، ثم بعثهم في الظلال، فقلت: وأي شي الظلال؟ فقال عليه السلام: ألم تر إلى

---

(١) سفينة البحار مادة (فضل) نقلاً عن الشيخ الصدوق، وبحار الأنوار ج١٨ ص٣٤٥ ب٣ ح٥٦. والبحار ج٢٦ ص٣٣٥ ب٨ ح١. هذا وقد قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾.

(٢) ولكن لماذا أحب هذا (كالرسول الأعظمصلى الله عليه وآله) دون ذاك (كأبي سفيان)؟ الإجابة واضحة: لأن هذا أطاع بل تمحض في الإطاعة وذاك عصى، بل وغالى في المعصية، لكن يبقى كيف خلق روح هذا ثم جسده من معدن أسمى وروح ذاك من معدن أردأ، ولماذا قرر الله قبل الخلقة أن يجعل هذا نبياً دون ذاك؟ جوابان تجدهما في هذا المبحث، وهناك إجابة أخرى ستأتي تحت عنوان (الوسام المسبق) إن شاء الله تعالى.

ظلك في الشمس شيئاً وليس بشيء؟ ثم بعث فيهم النبيين، فدعوهم إلى الإقرار بالله عز وجل وهو قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[1] ثم دعوهم إلى الإقرار بالنبيين، فأقر بعضهم، وأنكر بعضهم، ثم دعوهم إلى ولايتنا فأقر بها والله من أحب وأنكرها من أبغض، وهو قوله: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِن قَبْلُ﴾[2] ثم قال أبو جعفر عليه السلام: كان التكذيب ثم)[3].

وقال الصادق عليه السلام: (... إن الله عز وجل أخذ على العباد ميثاقهم وهم أظلة قبل الميلاد، وهو قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾[4] الآية، قال فمن أقر له يومئذ جاءت ألفته ههنا، ومن أنكره يومئذ جاء خلافه ههنا)[5].

وعن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: (لو علم الناس كيف ابتدأ الخلق لما اختلف اثنان، إن الله

---

(١) سورة الزخرف: الآية ٨٧.
(٢) سورة يونس: الآية ٧٤.
(٣) الكافي ج٢ ح١٠. وشبهه في بحار الأنوار ج٥ ص٢٤٤ ب١٠ ح٣٤.
(٤) سورة الأعراف: الآية ١٧٢.
(٥) بحار الأنوار ج٦٥ ص٢٠٦ ب٢٢ ح١٠. والبحار ج٥ ص٢٤١ ب١٠ ح٢٦. والبحار ج٥٨ ص١٣٩ ب٤٣ ح١٩.

عز وجل قبل أن يخلق الخلق قال: كن ماء عذباً اخلق منك جنتي وأهل طاعتي، وكن ملحاً أجاجاً أخلق منك ناري وأهل معصيتي، ثم أمرهما فامتزجا، فمن ذلك صار يلد المؤمن الكافر والكافر المؤمن، ثم أخذ طينة من أديم الأرض فعركه عركاً شديداً فإذا بهم كالذر يدبون، فقال لأصحاب اليمين: إلى الجنة بسلام، وقال لأصحاب الشمال: إلى النار ولا أبالي، ثم أمر ناراً فاسعرت، فقال لأصحاب الشمال: ادخلوها فهابوها، وقال لأصحاب اليمين: ادخلوها فدخلوها، فقال: كوني برداً وسلاماً، فكانت برداً وسلاماً، فقال أصحاب الشمال: يا رب أقلنا، قال: قد أقلتكم فذهبوا فهابوها)[1].

إذن نستلخص من هذه الرواية عدة أجوبة:

أ ـ (كن ماء عذباً اخلق منك أهل طاعتي) فالله لأنه علم إنهم سيكونون أهل طاعته، لذلك خلقهم من الماء العذب[2]، وسيأتي تفصيل هذا الجواب تحت عنوان (الوسام المسبق).

---

(١) الكافي ج٢ ص٦. بحار الأنوار ج٦٤ ص٩٣ ب٣ ح١٤.

(٢) فلأنهم كانوا سيكونون من أهل طاعته، علم بذلك، على النحو الذي ذكره الطوسي في التجريد: (والعلم تابع بمعنى أصالة موازنة في

ب ـ فسح الله المجال لأصحاب اليمين والشمال معاً، وهيأ لكليهما مجال الامتحان وفرص النجاح، لكن أصحاب اليمين نجحوا، وأصحاب الشمال سقطوا في الامتحان، ولذلك استحقوا العقاب (فقال لأصحاب الشمال ادخلوها فهابوها، وقال لأصحاب اليمين ادخلوها فدخلوها . . .).

ج ـ ومع كل ذلك ورغم سقوطهم في الامتحان، اعطاهم الرب فرصة أخرى ـ إتماماً للحجة ـ ورغم إنهم كانوا قد شاهدوا أن النار تولت إلى برد وسلام على من دخلها امتثالاً لأمر الرب، ألا أنهم مرة أخرى تراجعوا عن الإطاعة وسقطوا في الامتحان، فاستحقوا العقاب، بتقصيرهم وسوء اختيارهم (فقال أصحاب الشمال: رب اقلنا، قال: قد اقلتكم، فذهبوا فهابوها).

د ـ وسيأتي أن (مجال الاستقالة والتوبة)، لم يكن

التطابق) لا لأنه علم كانوا كذلك، ولأنهم كانوا سيكونون كذلك خلقهم من الماء العذب، لا لأنه خلقهم من الماء العذب كانوا كذلك، فليدقق، وقد تعرض السيد المؤلف لتفصيل الحديث عن ذلك في تدريسه لـ (شرح التجريد) في حوزة قم المقدسة، فراجع الأشرطة.

مفسوحاً لأصحاب الشمال في ذلك العالم الأسبق فقط، بل هو مفسوح لهم في عالم الدنيا أيضاً.

هـ - وفيما بعده أيضاً[١].

إذن فنظرة أشمل للمعادلة تكشف عن رفض إرادي لأوامر الله في عالم الذر وعوالم سابقة، ولجاج وعناد مع خالق الكون الخلقة من معدن رديء خبث الولادة بغض آل البيت عليهم السلام دخول النار[٢].

وفي المقابل: تلبية للأمر الإلهي وامتثال لإرادة الله الخلقة من معدن أسمى طيب الولادة حب آل البيت عليهم السلام الجنة.

وإلى إحدى تلك المراحل السابقة، يشير جل

---

(١) قد ذكر حتى الآن خمس أجوبة، الجواب الأول منها على تساؤل: لماذا خلق البعض من معدن أسمى؟ والأجوبة الأربعة الأخرى توضح: (إن ما جرى كان بملأ اختيار البشرية، وإن حرية اتخاذ القرار قد وفرها الله في العوالم السابقة، وهي لا تزال سارية في عالم الدنيا، وستستمر حتى في عالم الآخرة.

(٢) مع ملاحظة النقطة (١٣) السابقة، وهي التلازم بين الحب والإيمان، تكون المعادلة من ست حلقات: الرفض المعدن خبث الولادة النفاق البغض النار. وفي المقابل: التلبية المعدن طيب الولادة الإيمان الحب الجنة.

وعـــلا: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾[1] فمتى كان ذلك... أليس قبل خلقة الإنسان في هذا العالم، وذلك هو ما تنطق به الآية الشريفة وتدل عليه الروايات والتفاسير.

وليست تلك الحلقات متلازمة ـ كلها ـ تلازماً تكوينياً، بل بعضها يبقى بنحو المقتضي محكوماً بإرادة الإنسان واختياره (خبث الولادة بغض آل البيت) و(طيب الولادة حب آل البيت) كما سبق وسيأتي توضيحه.

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٧٢.



وللتوضيح الأكثر

ومما يوضح للقارىء الكريم هذه المعادلة الكبرى أكثر فأكثر، ويرفع بعض الشبهات أيضاً ما يلي:

الجواب الحلي والنقضي

أ ـ لقد خلق الله الشيطان من نار وخلق الإنسان من طين، فهما مخلوقان لله، لكنهما مختلفان في المعدن، أفيصح الاعتراض بعدها بـ: كيف يخلق الله الصالحين من أفراد البشر من معدن والطالحين من معدن آخر؟

وإذا لم يكن ذاك (الشيطان والإنسان) ظلماً لم يكن هذا ظلماً أيضاً. هذا الجواب النقضي.

وأما حلاً:

فكما أن خلقة الشيطان من نار لم تسلبه إرادته

واختياره، بل لقد عصى الله بملأ إرادته ولا يزال عاصياً معانداً بكل اختياره، كذلك فإن خلقه مبغضي أهل البيت من (طينة خبال) لا تسلبهم إرادتهم.

وبعبارة أخرى أن (الطينة) و(معادلة المعدن بشكل عام) مقتضية وليست علة تامة.

خلق الجمادات والحيوانات

ب ـ وكما خلق الله الجمادات متفاضلة، فكذلك الإنسان.

فقد خلق الذهب والتراب، والسم والعسل، والورود والأشواك، وذرة الأوكسيجين وذرة الأرانيوم، وسائر العناصر البسيطة والمركبة.

وكذلك خلق الكلب والثعلب، والنحل والعقرب والنمل، والأليف الوديع والوحشي الضاري، كذلك خلق الإنسان.

خلق الملائكة

ج ـ وكما خلق جل وعلا الملائكة أصنافاً متفاضلين، كذلك خلق الإنسان، إنها سنة الله العامة الجارية في كافة مخلوقات الله، فهو لم يخلق خلقين

متشابهين تمام التشابه، بل أبدع ونوّع حتى في (البنان) فكيف بالروح والجنان. وذلك من أكبر الأدلة على قدرته المطلقة وخلاقيته الشاملة.

خلق الإنسان

د ـ وفي الإنسان نلاحظ الذكي والغبي، والقوي والضعيف، والطويل والقصير، والأبيض والأسود، والطيب والخبيث، وغالب ذلك لأسباب لا تعود إلى المرء نفسه بل إلى مراحل سابقة خارجة عن إرادته، الجينات الوراثية، ظروف انعقاد النطفة، حالات الام أثناء الحمل، وأثناء فترة الرضاعة... وغيرها.

ومع ذلك فإنه لا يسلبه إرادته وحريته في اتخاذ القرار.

الوسام المسبق

هـ ـ إن الخلقة من (معدن أسمى) و(طيب الولادة) هو (امتياز) يمنحه الله تعالى للذين نجحوا في امتحانات العوالم السابقة[1] وإنه (امتياز) يفسح لصاحبه مجالاً أكبر

(١) وكلما كانت درجات النجاح أعلى كلما كان الجوهر المخلوق منه ذلك الفائز أسمى وأرقى.

للسمو، وليس (حصاراً حديدياً قاسراً) أبداً، وذلك[1] كالمعلم الذي يشاهد من أحد تلامذته جدية أكثر، فإنه سيعتني به أكثر، ولربما أعطاه من وقته على انفراد الشيء الكثير مما سيرفع من قدرة التلميذ على التسامي الأكثر.

فلا قسر هنا ولا جبر هناك، ولا ظلم لأولئك، بل إنه (الحق الطبيعي) الذي ينبغي أن يناله المتفوق بإرادته وجديته وعزيمته.

بل نضيف: لأن الله تعالى علم ـ في الأزل ـ بأن محمداً ﷺ عندما يُخلق سيكون أول المبادرين إلى طاعته وأحرصهم على عبادته والتزام أوامره، لذلك خلقه من معدن أسمى واعتبره منذ اللحظة الأولى أفضل رسله، وكان ذلك منه تعالى لطفاً في محله ونابعاً من حكمته، بل واجباً بالنظر إلى حكمته، وذلك كمن يعلم مسبقاً ـ بأخبار غيبي مثلاً ـ بأن زيداً سينقذه من موت محتم في مستقبل الأيام، فإنه من الآن، ودون أن يكون زيد قد قدم له أية خدمة حالياً، سيمنحه من عطفه ومودته الكثير وسيجله ويكرمه ويحترمه أكثر من الآخرين.

---

(١) المثال لتقريب الأذهان لتلك الحقيقة.

وهل يحق لأحد ممن ماثل زيداً في صفاته ودرجة احترامه أن يقول: لماذا تفضله علي؟ مع أنه لم ينقذك في سالف الأيام، حتى تثيبه على عمله الآن؟

إن العقل كما يحكم[1] بحسن الثواب على العمل الصالح الصادر في ماضي الأيام، كذلك يحكم بحسن اللطف والعطاء المسبق لمن سيقدم انجازاً كبيراً في مستقبل الأيام، خاصة إذا كان ذلك العطاء مما سيفوت وقته لو أجل حتى يصدر من ذلك الطرف ذاك الانجاز وتلك الخدمة وذلك الانقاذ[2]، والخلقة من معدن أسمى من مصاديق ذلك كما لا يخفى.

وللتوضيح الأكثر، نقدم لكم المثال التالي:

فمن علم بإخبار غيبي أو بعلم النجوم مثلاً أو غير

---

(١) أو يدرك.

(٢) وإن الوجوب كما يترشح من (ذي المقدمة) الموجود حالياً إلى المقدمة، كذلك يترشح من ذي المقدمة الذي سيوجد في مستقبل الأيام إلى المقدمة في الحال الحاضر، إذا كان الوجوب مطلقاً وكما يحكم العقل بوجوب إعداد العدة للتصدي للعدو الذي هاجمنا بالفعل، يحكم ـ وبنفس القوة ـ بوجوب إعداد العدة للتصدي للعدو الذي سيواجهنا بعد سنة مثلاً، إذا كان الإعداد يقتضي سنة من الجهد المتواصل.

ذلك. بأن ابنه ـ الذي ستنعقد نطفته ليلة الجمعة القادمة مثلاً ـ سيكون من كبار العلماء المتقين، أفلا يبعثه ذلك على أن يحرص هو بدوره على أن يوفر لابنه ـ قبل أن يولد ـ شتى العوامل الذاتية والخارجية التي تساعد ولده على أن يسمو أكثر فأكثر في مستقبل أيامه.

أفلا يحرص هو ـ توفيراً للعوامل الذاتية ـ أن لا تنعقد نطفته ألا وهو على وضوء؟ وهي أيضاً كذلك؟ وأن لا يطعما إلا الطعام المحلل غير المشوب بشبهة؟ وأن... وأن...؟

أفلا يحرص ـ توفيراً للعوامل الخارجية ـ أن يجمع له شتى الكتب النادرة التي ستسهل عليه مهمته، خاصة تلك الكتب التي سيعجز عن شرائها مثلاً، حين حاجة ابنه إليها في مستقبل الأيام؟

إن منح الامتيازات المسبقة للعظماء، ولكل من سيؤدي دوراً في خدمة البشرية، أو ينجح في الامتحان الإلهي، خاصة تلك الامتيازات التي ستعينهم على أداء رسالتهم بشكل أفضل، هي من أجلى مصاديق (الحكمة) والله تعالى سيد الحكماء، وامتياز الخلقة من معدن أسمى لمن علم الله أنهم سينجحون في امتحانه من هذا القبيل، بل من أجلى مصاديقه.

وعَكسه هو الذي يتنافى مع (الحكمة) و(اللطف) تماماً.

وحتى في الآخرة

و ـ وكما في الماضي السحيق وفي الحاضر كذلك، قد يكون في المستقبل البعيد.

فمن المحتمل أن مجال (التوبة) يبقى مفتوحاً للإنسان حتى وهو في يوم القيامة، بل وهو في نار جهنم، مع فارق بين التوبة في الدنيا والتوبة في الآخرة.

ففي الدنيا: فـ (باب التوبة) مفتوح لمبغضي أهل البيت عليهم السلام ولمنكري الرسالة، وللمشركين، والكفار بل حتى الشياطين أنفسهم، فمجرد الندم والاستغفار كاف لغسل أوراق الماضي.

ولكن في الآخرة فإن مجرد الندم والاستغفار لا ينفع هنالك، فإن الذي ينفع هو الندم الحقيقي، زائداً الضمان الحقيقي لعدم تكرار التجربة المرة، ولعدم العودة لنفس دائرة المعصية فيما لو أعيد مرة أخرى إلى دائرة الامتحان[1].

---

(١) ولا ضمان، بل العكس ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا﴾.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾[1].

ويقول الإمام الباقر عليه السلام بعد حديث طويل ذكر فيه: إن فاطمة عليها السلام، لتلتقط شيعتها ومحبيها كما يلتقط الطير الحب الجيد من الحب الرديء... (والله لا يبقى في الناس إلا شاك أو كافر أو منافق، فإذا صاروا بين الطبقات نادوا كما قال الله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾[2] فيقولون: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[3] قال أبو جعفر عليه السلام: هيهات هيهات منعوا ما طلبوا ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾[4].

إنهم سيرجعون لما نهوا عنه بمجرد أن يرتفع عنهم البلاء، كما حدث معهم في دار الدنيا مراراً عديدة.

وفي ذلك يقول تعالى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ

---

(١) سورة الأنعام: الآيتان ٢٧ـ ٢٨.
(٢) سورة الشعراء: الآيتان ١٠٠ـ ١٠١.
(٣) سورة الشعراء: الآية ١٠٢.
(٤) بحار الأنوار ج٨ ص ٥١ـ ٥٢ ب٢١ ح٥٩. والبحار ج٤٣ ص٦٥ ب٣ ح٥٧.

وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۞ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾[1].

إذن لا مجال (للجبر والإكراه) حتى في دار الجزاء، بل الإنسان بنفسه هو الذي يصر على مواصلة مسيرته بكامل إرادته[2]، وكمثال يقرب للأذهان هذه الحقيقة: ما نجده من الطغاة والقتلة والسفاكين والمرتشين والمرابين وأشباههم، فهم رغم كل العقوبات ورغم السجن مرة بعد أخرى يعودون إلى نفس برنامجهم السابق بمجرد أن تتوفر لهم الأرضية والقدرة من جديد.

وإذا كان بعضهم ـ في الحياة الدنيا ـ يعود إلى دائرة المعصية مرة بعد أخرى، ثم وبعد تكرر العقوبة أو لغير ذلك يرتدع نهائياً ويتوب إلى الله توبة حقيقية، فإن الله قد فسح له ولأمثاله المجال، وأمهله حتى يتحقق ذلك ولا يخرج الإنسان من الدنيا إلا وقد استقر الأمر في حقيقته ونتيجته النهائية على أحد الطرفين، ولا يبقى

---

(١) سورة الأنعام: الآيتان ٦٣ـ ٦٤.

(٢) فمن الممكن القول بأنه تاب في نار جهنم حقيقة، بحيث علم الله منه أنه لو أعيد إلى دار الدنيا لما عصى الله تعالى، لتاب الله عليه وغفر له وأخرجه إلى حيث جنانه الواسعة. فتأمل.

للمثقل بالمعاصي المستوجب للجنة ـ لرجحان كفة أعماله الصالحة والشفاعة و . . .ـ إلا التطهير ومراتب من العقاب في ذلك العالم.

وماذا عن حقوق الناس؟

وربما تساءل البعض: صحيح أن الله سبحانه سيغفر ذنوب العبد فيما بينه وبين ربه، لمحب فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها عليهم صلوات المصلين، بـ (محبته) تلك، كما يغفر تلك الذنوب بالاستغفار، ولكن كيف ستكون المعادلة مع الذنوب التي تتعلق بحقوق الناس.

تجيب على ذلك الروايات الشريفة، ومنها الرواية التالية:

قال ﷺ: (فيأتي النداء من قبل الله تعالى: يا أخا رسول الله! هؤلاء إخوانه المؤمنون قد بذلوا له، فأنت ماذا تبذل له؟ فإني أنا الحكم ما بيني وبينه من الذنوب قد غفرتها له بموالاته إياك، وما بينه وبين عبادي من الظلامات فلا بد من فصلي بينه وبينهم، فيقول علي عليه السلام: يا رب أفعل ما تأمرني، فيقول الله تعالى: يا علي، إضمن لخصمائه تعويضهم عن ظلاماتهم قبله، فيضمن

لهم علي عليه السلام ذلك ويقول لهم: اقترحوا على ما شئتم أعطكم عوضاً من ظلاماتكم قبله)[1]. الحديث.

(١) بحار الأنوار ج٦٥ ص ١٠٧ـ ١٠٩ ب١٨ ح٢٠ والبحار ج٨ ـ ص ٦٠ ـ ب ٢١ ـ ح ٨٢ ص٢١ ب٨٢.

رسالة إلى كل محب وشيعي

وبعد كل ذلك، على محبي أهل البيت عليهم السلام وشيعته، أن يكونوا (النموذج الأسمى) والمثال الأعلى للمؤمن الملتزم، المطيع لله ولرسوله، بحيث يكون كل واحد منهم (مضرب المثل) وممن يشار إليه بالبنان، في التقوى والأخلاق الحميدة، والسلوك الإيماني المشرق الوضاء وأن لا يسوغوا لأنفسهم ارتكاب حتى أصغر معصية، اعتماداً على كونهم محبي لآل بيت الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وذلك لأن:

إن المحب لمن يحب مطيع

١ـ إن المحب يجند كل طاقاته ليكتسب (رضا المحبوب) ويتحرز عن كل ما يشينه أو يؤذيه أو يؤلمه أو ينغص عليه، ولا شك أن معصية الله سبحانه وتعالى ـ خاصة من قبل من ينتسب لأهل البيت عليهم السلام وممن ينسبه

الناس إليهم - مما يؤذي آل بيت رسول الله ﷺ ويسخطهم.

إن أحدنا ابتغاء رضى أبيه أو ابنه أو صديق عزيز عليه أو إمرأة تعلق بها، يجشم نفسه من العناء الكثير، ويضغط على رغباته، كي يلبي صديقه أو من يحب...

فإذا كان من نحب، هم فاطمة وأبوها وبعلها وبنوها (صلوات الله عليهم)، وما أدراك من هم؟ أفلا يجدر بنا - محبيهم وشيعتهم - أن لا نسوؤهم بمعصية رب الأرباب وخالق البرايا وإله الكون؟!

هذا وفي الشعر المنسوب للإمام الصادق عليه السلام:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه
هذا لعمرك في الفعال بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته
إن المحب لمن يحب مطيع[1]

ويكفي المحب والشيعي أن يلاحظ الرواية التالية[2]، لتكفيه رادعاً عن المعصية:

---

(١) بحار الأنوار ج٤٧ ص٢٤ ب٤ ح٢٦. ومثله في البحار ج٦٧ ص١٥ ب٤٣ ح٣. والبحار ج٧٥ ص١٧٤ ب٢٢ ح٥.

(٢) وقد سبقت الإشارة إليها.

إن رجلاً من المنافقين قال لمولانا الرضا عليه السلام: إن من شيعتكم من يشرب الخمر على الطريق... واعترضه آخر، فقال: إن من شيعتكم من يشرب النبيذ (يعني الخمر) قال: فعرق وجهه الشريف حياءً[1].

التبليغ عبر العمل

٢ـ إن علينا باعتبارنا محبين وشيعة لأفضل مخلوقات الله على الإطلاق، أن ندعو الناس إلى سادتنا وقادتنا ومن نحبهم، عبر العمل الصالح، وعبر السلوك الأخلاقي الأخاذ، فإن (سلوك الأتباع) ومحامد أخلاقهم هو من أقوى سبل الدعوة والهداية، ومن أسرع الطرق للتعريف بمن نحب، وقد قال الإمام الصادق عليه السلام: (كونوا دعاة الناس بأعمالكم ولا تكونوا دعاة بألسنتكم)[2].

وفي الحديث: (عليكم بتقوى الله والورع والاجتهاد وصدق الحديث وأداء الأمانة وحسن الخلق

---

(١) علم اليقين للفيض ج٢ ص٦٠٣. وراجع بحار الأنوار ج٢٧ ص٣١٤ ب٩ ح١٢.

(٢) بحار الأنوار ج٧٥ ص١٩٩ ب٦٠ ح١٩.

وحسن الجوار وكونوا دعاة إلى أنفسكم بغير طيه وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً، وعليكم بطول السجود والركوع)[1].

وقال عليه السلام: (إن أحق الناس بالورع آل محمد وشيعتهم كي تقتدي الرعية بهم)[2].

والعكس بالعكس فإن السلوك الشائن، واقتفاء سبيل العصاة والأشرار، مما يسبب نفرة الناس وابتعادهم عمن نحب، أفهل يجدر بالمحب أن يعطي انطباعاً سلبياً عن محبوبه؟ وهل يصح للمحب أن يشوّه ـ في أنظار الناس أو بعضهم على الأقل ـ الصورة المشرقة لمحبوبه؟ وفي هذا المجال يقول الشاعر الفارسي ما معناه: إذا كنت من محبي علي عليه السلام فينبغي لك أن تستحيي من علي عليه السلام ـ ومن النظر إلى وجهه المبارك وأنت عاص ـ وتقلل من معاصيك[3].

---

(١) بحار الأنوار ج٧٥ ص١٩٩ ب٦٠ ح٨ عن الصادق عليه السلام.

(٢) بحار الأنوار ج٦٥ ص١٦٦ ب١٩ ح٢١ عن الصادق عليه السلام.

(٣) شرم از رخ علي كن وكمتر گناه كن.

أوامر أهل البيت عليهم السلام

٣ـ إن أوامر أهل البيت الأطهار عليهم السلام صريحة الاتجاه في هذا، فهم عليهم السلام يؤكدون أكبر التأكيد على الالتزام بأوامر الله عز وجل حرفياً، ويحذرون أكبر التحذير من معصية الله عز وجل حتى في صغائر الأمور.

يقول الإمام علي عليه السلام: (شر الذنوب ما استهان به صاحبه).

وعن موسى بن جعفر عليه السلام: قال لأحد أصحابه: (أعرف أصحابك وأقرئهم عني السلام وقل لهم: إني ومن جرى مجراي من أهل البيت لا بد من حضور جنائزكم في أي بلد كان وكنتم، فاتقوا الله في أنفسكم وأحصنوا الأعمال لتعينونا على خلاصكم وفك رقابكم من النار)(١).

وما أدق التعبير بـ (لتعينونا على خلاصكم) وما أعمق دلالته.

وعن كليب بن معاوية الأسدي، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (والله إنكم لعلى دين الله ودين

---

(١) دار السلام للنوري ج٤ ص٢٩٣.

ملائكته فأعينوني بورع واجتهاد، فوالله ما يقبل الله إلا منكم، فاتقوا الله)[1].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: (... واعلموا أن ولايتنا لا تنال إلا بالورع والاجتهاد، من ائتم منكم بقوم فليعمل بعملهم، أئتم شيعة الله، وأنتم أنصار الله، وأنتم السابقون الأولون، والسابقون الآخرون، والسابقون في الدنيا إلى محبتنا، والسابقون في الآخرة إلى الجنة)[2]. الحديث.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله: (الإيمان إقرار باللسان، ومعرفة بالقلب، وعمل بالأركان)[3].

وبعد كل ذلك إن أئمة أهل البيت عليهم السلام يريدون من أن نكون (شيعة) لهم حقاً إلى جوار كوننا محبين،

---

(١) بحار الأنوار ج٦٥ ص٨٧ ب١٦ ح١٣ نقلاً عن رجال الكشي ٢٨٩.

(٢) بحار الأنوار ج٦٥ ص٦٥ ب١٥ ح١١٨ نقلاً عن فضائل الشيعة ص١٤١. وشبهه في البحار ج٦٥ ص٨٠ ب١٥ ح١٤١.

(٣) عيون أخبار ج١ ص٢٢٧. الأمالي ص١٦٠. الخصال ج٦ ص٨٤. بحار الأنوار ج٦٦ ص٦٣ ب٣٠ ح٩. والبحار ج٦٦ ص٦٨ ب٣٠ ح٢٣.

والروايات التاليات تفصح عن ذلك:

روي: أن أمير المؤمنين عليه السلام خرج ذات ليلة من المسجد، وكانت ليلة قمراء فأم الجبانة، ولحقه جماعة يقفون إثره، فوقف عليهم ثم قال: (من أنتم؟ قالوا: شيعتك يا أمير المؤمنين، فتفرس في وجوههم، ثم قال: فما لي لا أرى عليكم سيماء الشيعة، قالوا: وما سيماء الشيعة يا أمير المؤمنين، فقال: صفر الوجوه من السهر، عمش العيون من البكاء، حدب الظهور من القيام، خمص البطون من الصيام، ذبل الشفاه من الدعاء، عليهم غبرة الخاشعين)[1].

وعن محمد بن عمر بن حنظلة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: (ليس من شيعتنا من قال بلسانه وخالفنا في أعمالنا وآثارنا، ولكن شيعتنا من وافقنا بلسانه وقلبه وأتبع آثارنا وعمل بأعمالنا، أولئك شيعتنا)[2].

وعن ابن المتوكل، عن البرقي، رفعه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (والله ما شيعة علي عليه السلام إلا من عف

---

(١) إرشاد المفيد ص١١٤. أمالي الطوسي ج١ ص٢١٩. بحار الأنوار ج٦٥ ص١٥٠ ب١٩ ح٤. والبحار ج٧٤ ص٤٠٤ ب١٥ ح٣٠.

(٢) بحار الأنوار ج٦٥ ص١٦٤ ب١٩ ح١٣.

بطنه وفرجه، وعمل لخالقه ورجا ثوابه وخاف عقابه)[1].

آثار المعصية

٤ـ صحيح أن النار محرمة على من أحب علياً وفاطمة عليهما السلام ولا يدخل النار[2] محب لهما، كما سبق في الروايات الشريفة، وصحيح أن كافة محبيها يدخلون الجنة وإن عصوا ما عصوا، كما سبق أيضاً ـ ولا ينبغي التشكيك في ذلك أبداً.

ولكن: على المحب والشيعي أن يعرف أن معصية الباري جل وعلا تستوجب مراتب من العقاب والعذاب في الدنيا والأخرى:

أ ـ فإن المعاصي لها (آثار وضعية) في هذه الحياة الدنيا، فلربما سببت له كثيراً من البلايا والمحن، فهذه المعصية قد تكون هي السبب في اصطدام سيارته وقتل فلذة كبده مثلاً، وتلك هي السبب في الضربة المالية التي

(١) صفات الشيعة ص١٦٦. وبحار الأنوار ج٦٥ ص١٦٨ ب١٩ ح٢٦.

(٢) أو لا يخلد في النار، إذ تصرح بعض الروايات بدخول بعض المحبين للنار ولكن دون خلود فيها، والمسألة بحاجة إلى تنقيح وتتبع أكثر.

وجهت له، والأخرى هي العامل الغيبي الخفي الذي كان وراء انهيار شركته، أو تهدم حياته العائلية، أو تعقد معاملاته، وهكذا[1].

وكما أن لله لطفاً جلياً وخفياً، كذلك فإن لغضبه وانتقامه ظهوراً وإخفاء، ووضوحاً وجلاءً[2].

ب ـ ومن جهة أخرى فإن المعاصي تستوجب العذاب الإلهي في لحظات الاحتضار، وفي القبر، وعالم البرزخ، والقيامة، وما بعدها أيضاً.

إذن المحب لفاطمة وعلي وآلهما عليهم السلام يأمن من الخلود في نار جهنم أو من نار جهنم ـ حسب ما يستشم من بعض الروايات الأخرى ـ ولكنه ليس بمأمن من سائر أنواع العذاب الإلهي.

---

(١) للبلايا عوامل عديدة: منها المعاصي، ومنها الامتحان والتمحيص رفعة للدرجات وغير ذلك، فالمعاصي من العوامل وليست هي كل العامل، فلا مجال للاستشكال أو التوهم بعد التدقيق. إضافة إلى أن البلايا التي تحل بالإنسان لرفعة درجاته هي فضل وكرامة، أما ما يحل به نتيجة لمعصيته فهو عقوبة، وما أعظم الفرق بينهما؟.

(٢) إضافة إلى أن المعاصي إذا كثرت قد توجب سلب التوفيق من الإنسان وقد تسبب خروج محبة فاطمة الزهراء وأمير المؤمنين عليهما السلام وأهل البيت عليهم السلام من قلبه وعند ذلك سيخلد في نار جهنم.

والشيعي ـ العاصي ـ سيدخل الجنة حتماً ولكن بعد اللتيا والتي، وبعد عملية (التطهير)... أفلا يكفي ذلك رادعاً عن ارتكاب المعاصي والآثام؟

وإليكم الحديث التالي شاهد صدق على هذه النقطة:

قال رجل لامرأته: اذهبي إلى فاطمة بنت رسول ﷺ: فاسأليها عني أني من شيعتكم أم لست من شيعتكم؟ فسألتها، فقالت عليها السلام: قولي له: (إن كنت تعمل بما أمرناك وتنتهي عما زجرناك عنه فأنت من شيعتنا وإلا فلا، فرجعت فأخبرته، فقال: يا ويلي ومن ينفك من الذنوب والخطايا، فأنا إذاً خالد في النار، فإن من ليس من شيعتهم فهو خالد في النار، فرجعت المرأة فقالت لفاطمة عليها السلام ما قال زوجها، فقالت فاطمة عليها السلام: قولي له: ليس هكذا شيعتنا من خيار أهل الجنة، وكل محبينا وموالي أوليائنا ومعادي أعدائنا والمسلم بقلبه ولسانه لنا ليسوا من شيعتنا إذا خالفوا أوامرنا ونواهينا في سائر الموبقات، وهم مع ذلك في الجنة، ولكن بعد ما يطهرون من ذنوبهم بالبلايا والرزايا أو في عرصات القيامة بأنواع شدائدها أو في الطبق الأعلى من جهنم

بعذابها إلى أن نستنقذهم بحبنا منها وننقلهم إلى حضرتنا)[1] .

وقال رسول الله ﷺ: (اتقوا الله معاشر الشيعة، فإن الجنة لن تفوتكم وإن أبطأت بها عنكم قبائح أعمالكم، فتنافسوا في درجاتها، قيل: فهل يدخل جهنم أحد من محبيك ومحبي علي عليه السلام؟ قال ﷺ من قذر نفسه بمخالفة محمد وعلي، وواقع المحرمات، وظلم المؤمنين والمؤمنات، وخالف ما رسم له من الشريعات جاء يوم القيامة قذراً طفساً، يقول محمد وعلي عليهما السلام: يا فلان أنت قذر طفس لا تصلح لمرافقة مواليك الأخيار ولا لمعانقة الحور الحسان، ولا الملائكة المقربين، لا تصل إلى ما هناك إلا بأن يطهر عنك ما ههنا، يعني ما عليك من الذنوب، فيدخل إلى الطبق الأعلى من جهنم فيعذب ببعض ذنوبه، ومنهم من يصيبه الشدائد في المحشر ببعض ذنوبه، ثم يلتقطه من هنا من يبعثهم إليه مواليه من خيار شيعتهم، كما يلقط الطير الحب، ومنه من يكن ذنوبه أقل وأخف فيطهر منها بالشدائد والنوائب من السلاطين وغيرهم، ومن الآفات في الأبدان في الدنيا ليدلي في قبره وهو طاهر، ومنهم من يقرب موته

(١) بحار الأنوار ج٦٨ ص١٥٥ ب١٩ ح١١.

وقد بقيت عليه سيئة فيشتد نزعه ويكفر به عنه، فإن بقي شيء وقويت عليه ويكون عليه بطر أو اضطراب في يوم موته فيقل من بحضرته فيلحقه به الذل فيكفر عنه، فإن بقي عليه شيء أتي به ولما يلحد فيتفرقون عنه فتطهر، فإن كانت ذنوبه أعظم وأكثر طهر منها بشدائد عرصات يوم القيامة، فإن كانت أكثر وأعظم طهر منها في الطبق الأعلى من جهنم، وهؤلاء أشد محبينا عذاباً وأعظمهم ذنوباً، إن هؤلاء لا يسمون بشيعتنا ولكن يسمون بمحبينا والموالين لأوليائنا والمعادين لأعدائنا، إن شيعتنا من شيعنا واتبع آثارنا واقتدى بأعمالنا)[1].

وفي رواية أخرى، عن محمد بن مسلم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: (والله لا يصف عبد هذا الأمر فتطعمه النار، فقلت: بأن فيهم من يفعل ويفعل! فقال عليه السلام: إنه إذا كان ذلك ابتلى الله تبارك وتعالى أحدهم في جسده فإن كان ذلك كفارة لذنوبه، وإلا ضيق الله عليه في رزقه، فإن كان ذلك كفارة لذنوبه، وإلا شدد الله عليه عند موته، حتى يأتي الله ولا ذنب له ثم يدخله الجنة)[2].

---

(١) بحار الأنوار ج٨ ص٣٥٢ ب٢٧ ح٢.

(٢) المحاسن ١٧٢. وبحار الأنوار ج٦ ص١٦٠ ب٦٨. والبحار ج٦٥ ص١٠٤ ب١٨ ح٥.

استنتاج

وبذلك نعرف أن القول بأن محب فاطمة عليها السلام لا يدخل النار وستلتقطه حتماً إلى الجنة، ليس في إغراء للناس بالمعاصي على الإطلاق، إلا بالقدر الذي يكون في إخبار الناس بأن الاستغفار ماح للذنوب، وإذا كان ثمة إشكال، فهنا كذلك.



بيان الجانبين

وعلى العلماء أن يوضحوا للناس الصورة من كلا جانبيها فـ:

أ ـ المحب العاصي لا يخلد في النار أبداً وهو حتماً سيدخل الجنة.

ب ـ المحب العاصي حسب درجات معصيته يعاقب في هذه الدنيا أو يعذب في لحظات الاحتضار والقبر والبرزخ وما أشبه جزاءً على معاصيه، وهو ليس بالعذاب الهين بل لحظة واحدة من عذاب الاحتضار والقبر لا تقوم لها لذة عمر بأكمله[1].

---

(١) يتضح هذا الأمر أكثر عندما نلاحظ (النظرية النسبية) فيما يتعلق بالبعد الرابع (الزمن) حيث أن لحظة واحدة من عالم آخر قد تعدل ملايين السنين أو أكثر من عالمنا، وقد تطرق السيد المؤلف عن هذه النقطة بالذات في كتاب (المقالات) الذي ألفه وهو في السجن، إضافة إلى كتاب (السيدة نرجس عليها السلام مدرسة الأجيال) وسيطبع الكتاب الثاني أيضاً قريباً إن شاء الله تعالى.

فلا يصح بل لا يجوز لأتباع الرسول ﷺ فكيف بالعلماء أن يغفلوا ذكر الجانب الأول من الصورة، وكيف لهم بأن ينكروها لاستحسانات منشأها ـ على أحسن الفروض ـ الجهل بالروايات وبحكم العقل وبمكانة آل البيت عليهم السلام عند الله وبفضل الله وكرمه سبحانه وتعالى، فراجع ما سبق.

وإذا كان الرسول ﷺ وآل بيته عليهم السلام لا يتحرجون عن التصريح بأن محب فاطمة عليها السلام مفطوم من دخول النار، وبه من أهل الجنة حتماً ـ بل تراهم يصرون أشد الإصرار على ذلك ـ أفهل يجدر بنا أن نتحرج؟

وهل يا ترى نتوهم بأنهم عليهم السلام لم يتوصلوا ـ والعياذ بالله ـ للمحاذير التي توصلنا إليها في إطلاق تلك التصريحات؟!!

وأليس الإسلام هو التسليم؟ وألم يقل جل وعلا: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا حَتَّىٰ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[1].

وقد قال ﷺ لعلي عليه السلام: (من أحبك ختم الله له

---

(١) إحقاق الحق ج٧ ص١٣٨.

بـالأمـن والإيـمـان، ومـن أبـغـضـك أمـاتـه الله مـيـتـة الجاهلية)[1].

وما أدق كلمة (ختم) فهو ليس آمناً طوال المسير وفي كل المراحل... بل إن (خاتمته) الأمن والأمان، أما قبل ذلك... في القبر والبرزخ و... فهل يعذب أم لا؟ ذلك يتبع مدى التزامه بتعاليم أهل البيت عليهم السلام ومدى طاعته أو عصيانه... والله المستعان.

وأضيف: إن عدم التطرق لذكر الجانب الأول، إلى جوار الجانب الثاني ـ فكيف بالتعرض لنفيه ـ يعد طمساً لحقيقة كبرى بذل الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام جهوداً كبيرة لإيصالها إلينا، وهو إلى ذلك نوع من (سياسة التجهيل) ونوع من الاستخفاف والاستهانة بعقول الناس، وبمكانة محبي آل بيت الرسول صلى الله عليه وآله، وهل هو ألا كمن يصر على عدم ذكر الآيات والروايات الدالة على أن الاستغفار ماحٍ للذنوب؟

---

(١) راجع بحار الأنوار ج٣٨ ص٣٤٧ ب٦٨ ح٢٢. وفيه: (ألا من أحبك فقد حف بالأمن والإيمان ومن أبغضك أماته الله ميتة جاهلية).

٥ـ مرة أخرى نعود للمحب والشيعي، فنقول له، حذار حذار من المعصية، فإن المعاصي قد تؤدي بالإنسان إلى أن تسلب منه نعمة المحبة لآل البيت عليهم السلام ونعمة توليهم! لا سمح الله.

إن فاطمة عليها السلام ستلتقط محبيها وشيعتها يوم الحشر لتسوقهم إلى الجنة حتماً ولكن من يضمن لي ـ أنا المحب والشيعي ـ إن تجرأتُ على عصيان الله تعالى: أن لا أسلب تلك المحبة والنور عند لحظات الاحتضار؟ وفي الرواية: إن السيئات بعضها آخذ بعنق بعض وكذلك الطاعات، وذلك إن كثيراً من المؤمنين يسلبون إيمانهم في لحظات الاحتضار، فإن الإيمان منه مستقر ومنه مستودع كما في الحديث الشريف[1].

والمعاصي كلما تزايدات أكثر فأكثر، ازدادت نسبة الخطر في فقد أصل الإيمان والمحبة والولاء، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إن الحسرة والندامة والويل كله لمن لم ينتفع بما ابصر، ومن لو يدر الأمر الذي هو عليه

---

(١) راجع بحار الأنوار ج٤٨ ص١٥٩ ب٧ ح٢.

مقيم أنفع هو له أم ضرر، قال: فقلت: فبما يعرف الناجي، قال: من كان فعله لقوله موافقاً، فاثبت له الشهادة بالنجاة، ومن لم يكن فعله لقوله موافقاً فإنما ذلك مستودع)[1]. وقد قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[2]. ولا شك أن من مصاديق كفران نعمة الولاية لآل البيت ومحبتهم عليهم السلام، الإعراض عن أوامرهم وعصيانهم وإيذائهم، بتلك المعاصي التي هي معاصي للباري عز وجل.

ونحن بعد (الشكر القولي والعملي بحاجة أيضاً إلى الدعاء والإلحاح فيه، حتى تضمن لنا ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾[3].

وتشير إلى ذلك الرواية التالية: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إن الله جعل النبيين على نبوتهم فلا يرتدون أبداً، وجعل الأوصياء على وصاياهم فلا يرتدون أبداً، وجعل بعض المؤمنين على الإيمان فلا يرتدون أبداً، ومنهم من

---

(١) المحاسن ص٢٥٢. وبحار الأنوار ج٢ ص٣٠ ب٩ ح١٧. والبحار ج٦٦ ص٢١٨ ب٣٤ ح٢.
(٢) سورة إبراهيم: الآية ٧.
(٣) سورة آل عمران: الآية ١٣٣.

يعير الإيمان عارية، فإذا هو دعا وألح في الدعاء مات على الإيمان)[1].

عرض الأعمال على الإمام عليه السلام

٦ـ وبعد كل ذلك يكفي لمحب آل البيت عليهم السلام رادعاً عن المعصية أن يتذكر أن أعمال الخلائق تعرض على ولي الله الأعظم صاحب الزمان وخليفة الرحمن (عجل الله تعالى فرجه الشريف) كل أسبوع مرتين (يوم الاثنين ويوم الخميس)[2] وإذا كان أحدنا ليستحيي أن يكتشف أخوه أو صديقه نظرة منه مريبة إلى امرأة أجنبية، أو سرقة، أو دجلاً، أو خداعاً... فكيف لا يذوب خجلاً بل لا يموت كمداً وحزناً وأسى... لو اطلع ولي الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) على سجل أعماله، ليرى فيه انتهاكاً لإحدى حرمات الله؟... أعاذنا الله من ذلك.

---

(١) الكافي ج٢ ص٤١٩. وبحار الأنوار ج٦٦ ص٢٢٠ ب٣٤ ح٤.

(٢) راجع بحار الأنوار ج٢٣ ب٢: باب عرض الأعمال عليهم عليهم السلام وأنهم شهداء على الخلق. والبحار ج٥٦ ص٤٠ ب١٨ ح١٤ عن جمال الأسبوع.

٧ـ ومن جهة أخرى: على الإنسان أن لا يغره (صلاحه) و(جهاده) والتزامه بالأعمال الصالحة وتضحياته في سبيل الله، فإن كلها ستكون ﴿كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾[1] فيما لو خالطها (وعادة ما يخالطها) مثقال ذرة من عجب أو غرور أو رياء أو سمعة، أو فيما لو حدث ـ وعادة ما يحدث ـ أي عمل يؤدي إلى (حبط) كل تلك البطولات.

فـ (غيبة) واحدة، أو تهمة، أو نظرة حرام، أو حكم بالباطل أو... ربما تؤدي إلى حبط ونسف كل ذلك التاريخ المشرق ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾[2].

(١) سورة إبراهيم: الآية ١٨.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٢٣.



الحاجة إلى الشفاعة(١)

وهنا تتجلى لنا: الحاجة الإستراتيجية لـ (الشفاعة) وهنا يتجلى لنا: ذلك الدور المصيري لـ (المحبة) لآل الرسولﷺ... والرواية التالية، تشير إلى تلك الحقيقة بوضوح:

دخل أبو أيمن على الإمام الباقرعليه السلام: فقال له: (يا أبا جعفر تغرون الناس وتقولون شفاعة محمد شفاعة محمد، فغضب أبو جعفرعليه السلام حتى تربد وجهه [أي تغير وجهه] ثم قال: ويحك يا أبا أيمن أغرك أن عف بطنك وفرجك، أما لو قد رأيت إفزاع القيامة لقد احتجت إلى شفاعة محمد، ويحك فهل يشفع إلا لمن وجبت له النار، ثم قالعليه السلام: ما أحد من الأولين

(١) راجع كتاب (من فقه الزهراءعليها السلام) للإمام الشيرازي دام ظله وكتاب (السيدة نرجسعليها السلام مدرسة الأجيال) للسيد المؤلف.

والآخرين إلا وهو محتاج إلى شفاعة محمد ﷺ يوم القيامة)[1].

(1) حق اليقين ج٢ ص٢٠٦ عنوان الشفاعة. وبحار الأنوار ج٨ ص٣٨ ب٢١ ح١٦.

الخاتمة

وختاماً: فإن لنا أن نلخص معادلة الحب والبغض والعمل الصالح والطالح ـ من حيث استحقاق الجنة أو النار ـ في العناوين التالية:

مبغض آل البيت عليهم السلام

١ـ مبغض آل البيت عليهم السلام مع أعمال صالحة: فهو في النار وأعماله ﴿كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾[1] فـ ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[2] و...

٢ـ مبغض آل البيت عليهم السلام مع أعمال طالحة: فهو في النار مع درجات ومراتب أقوى من العذاب.

٣ـ وعلى حسب درجات البغض ـ وهو حقيقة تشكيكية ذات مراتب ـ تزداد درجات العذاب.

---

(١) سورة إبراهيم: الآية ١٨.

(٢) سورة المائدة: الآية ٢٧.

محب آل البيت عليهم السلام

١ـ المحب لآل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إن كانت له المحبة زائداً الأعمال الصالحة: فهو في الجنة مع أجر أكبر.

٢ـ المحب بدون الأعمال الصالحة: في الجنة.

٣ـ المحب مع المعاصي، لا يخلد في النار وسيدخل الجنة، بعد تطهير وتصفيه، إما في الدنيا. . . أو ـ إذا كانت المعاصي أكثر ـ في لحظات الاحتضار أيضاً. . . وإذا كانت أكبر ففي القبر، وبعدها في البرزخ والقيامة، وبعدها ولفترة في الطبقة العليا لجهنم[1]، ولربما عذب بعضهم سبعين ألف سنة ثم ينقلون إلى الجنة.

٤ـ وعلى حسب درجات المحبة يعطى المحب لآل البيت الأطهار عليهم السلام منازل في الجنة.

٥ـ وعلى حسب أعماله الصالحة يزداد الأجر والثواب.

---

(١) كما سبق ذلك في روايات ذكرناها. راجع بحار الأنوار ج٤٣ ص١٢٣ ب٥ ح٣١. وج٢٧ ص١١٧ ح٩٦ ب٤.

الصور الأخرى

وتبقى ـ بعد كل ذلك ـ صور أخرى عديدة، منها:

١ـ محب لآل البيت عليهم السلام غير مبغض لأعدائهم.

٢ـ أو مبغض لأعدائهم غير محب لهم عليهم السلام.

أو محب لهم ولأعدائهم.

ونشير ها هنا إشارة عابرة فقط، والتفصيل في دراسة قادمة بإذنه تعالى.

إن التولي والتبري أمران (ارتباطيان) في جوهرهما، وكذلك (المحبة) لآل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والبغض لأعدائهم، فلا ينفع أحدهما دون الآخر[١].

وإلى ذلك تشير روايات عديدة، منها الرواية التالية التي تصرح بـ (فلا يرون محباً لنا أهل البيت محضاً...):

عن بلال بن حمامة قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم ضاحكاً مستبشراً، فقام إليه عبد الرحمن بن عوف، فقال: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: (بشارة

---

(١) قد يكون عدم النفع مطلقاً وقد يكون عدم النفع لمراتب معينة.

أتتني من عند ربي، إن الله لما أراد أن يزوج علياً فاطمة أمر ملكاً أن يهز شجرة طوبى فهزها، فنثرت رقاقاً ـ يعني صكاكاً ـ وأنشأ الله ملائكته التقطوها، فإذا كانت القيامة ثارت الملائكة في الخلق، فلا يرون محباً لنا أهل البيت محضاً إلا دفعوا إليه منها كتاباً برائة له من النار من أخي وابن عمي وابنتي، فكاك رقاب رجال ونساء من أمتي من النار)[1]. ويطلب تفصيل هذا البحث من مظانه.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من شيعة أهل البيت عليهم السلام ومحبيهم حقاً حقاً، وأن يرزقنا الدرجات العليا من عمق المحبة الخالصة لفاطمة الزهراء وأبيها وبعلها وبنيها (صلوات الله عليهم أجمعين)، إنه سميع الدعاء.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

دمشق ـ السيدة زينب عليها السلام

مرتضى الشيرازي

ج٢/١٤١٨هـ

(١) تاريخ بغداد ج٤ ص٢١٠.

الفهرس



عليه الصلاة والسلام

هيئة تثقيفية إسلامية تطوعية هدفها تنمية المجتمعات إيمانيا وفق رسالة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

بيروت - الكويت

المؤسسات التابعة للهيئة

مكتبة وتسجيلات جنان الغدير

وقفية خيرية



مجلة المنبر

فكرية ثقافية شهرية



مركز نور محمد

صلى الله عليه وآله وسلم

آية الله السيد مرتضى الشيرازي

■ كربلاء المقدسة هي مسقط رأسه، حيث ولد فيها عام ١٣٨٥ للهجرة النبوية الشريفة، من بيت مرجعي عريق خرج أجيالا من العلماء والفضلاء والمجاهدين في سبيل الله تعالى. ومن أبرزهم المجدد الشيرازي الكبير صاحب ثورة التنباك، والتقي الشيرازي قائد ثورة العشرين.

■ جده آية الله العظمى السيد الميرزا مهدي الشيرازي زعيم حوزة كربلاء المشتهر بورعه وتقواه النادرين. وعمه آية الله الشهيد الإمام السيد حسن الشيرازي المفكر الإسلامي العملاق الذي اغتيل برصاصات البعث العراقي الكافر بعد حياة مليئة بالجهاد ضد الطواغيت والمستعمرين.

■ والده نادرة الزمان المرجع الديني الأعلى آية الله العظمى الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي، مفجر النهضة العلمية الثقافية الإسلامية بمؤلفاته الموسوعية التي تربو على الألف، ومؤسساته الخيرية المنتشرة في بقاع الأرض من أقصاها الى أقصاها، ونظرياته ورؤاه المكونة لمشروع نهضوي حضاري إمامي.

■ أساتذته يأتي في طليعتهم عمه آية الله الفقيه الكبير السيد صادق الحسيني الشيرازي، وآية الله العظمى الشيخ حسين الوحيد الخراساني، وآية الله العظمى السيد رضا الصدر، وأخوه الأكبر آية الله المحقق السيد محمد رضا الشيرازي.

■ نال رتبة الاجتهاد بتفوق ملموس، فأضحى أستاذا قديرا للخارج بعد إذ منحه أساطين الحوزات شهادات الاجتهاد، ومن بينهم آية الله العظمى الشيخ مسعود السلطاني قدس سره، وآية الله العظمى السيد محمد الفاطمي الأبهري، وآية الله العظمى الشيخ مرتضى الأردكاني.

■ حمل راية أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ونهض لنشر رسالتهم وبيان حضارتهم في ربوع العالم، فكان أستاذا ومحاضرا، داعيا ومصلحا، مربيا ومؤسسا، مجتهدا ومجاهدا.

■ له عدد من المؤلفات والدراسات المركزة، من أشهرها سفره الضخم المعنون بـ «شورى الفقهاء» الواقع في ستة أجزاء تتميز بالعمق الفقهي والأصولي، حيث يهندس فيه لنظرية علمية حضارية وضع لبناتها والده المعظم بهدف قيام الدولة الإسلامية العالمية الواحدة تحت قيادة الفقهاء المراجع.

■ دفاعه عن الشرع المقدس ومجاهرته بكلمة الحق ومناصرته للمظلومين والمستضعفين، جعلته يدفع حريته ثمنا، فسجن وعذب لأكثر من سنة ونيف قضاها صابرا محتسبا، مشتغلا بالتأليف والتدوين في زاوية من زوايا زنزانة مظلمة خرج منها فور إنجازه كتابا كان قد نذر - لكي يفك الله قيده - أن يؤلفه باسم والدة الإمام صاحب الزمان أرواحنا لتراب مقدمه الفداء، فتحققت الكرامة بمجرد الانتهاء من تأليفه وكان الكتاب القيم تحت عنوان «السيدة نرجس عليها السلام.. مدرسة الأجيال».

■ اتسامه بسجايا الأخلاق وقيم التواضع والزهد، أكبر من شأنه في أعين العلماء والفضلاء، وخدمته الدائمة للمؤمنين وقضائه حوائجهم، جعلتهم يلتفون حوله ويحتضنونه أينما حل وارتحل.